مقـــــــرر

" علم الاجتماع التربوي "

لطلبة الجامعة المفتوحة

التفاعل الاجتماعي والقيم الاجتماعية

إن الغموض الذي يرتبط بمفهوم القيم، نابع من ارتباط هذا المفهوم بمفاهيم أخرى مثل الاتجاهات، والمعتقدات، والدوافع، والرغبات، والمعايير، والحاجات، ولكن القيمة شيء آخر إذ أنها تتكون في مواقف المفاضلة والاختيار حين يحتم على الفرد اختيار أحد حلين بقدر ما تسمح به قدراته وإمكاناته[1]. والقيمة بشكل عام، شيء يحظى بالتقدير والرغبة والقبول للغالبية العظمى إن لم تكن لجميع من في المجتمع وذلك لأنها تعبر عن مصلحة واهتمام كافة الناس في المجتمع الواحد على الأقل. وهذه القيم الاجتماعية عبارة عن مجموعة من الأفكار تكون فيما بينها جهازاً شبه مقنن (ثابت) يستخدمه الإنسان في قياس وتقدير المواقف الاجتماعية.

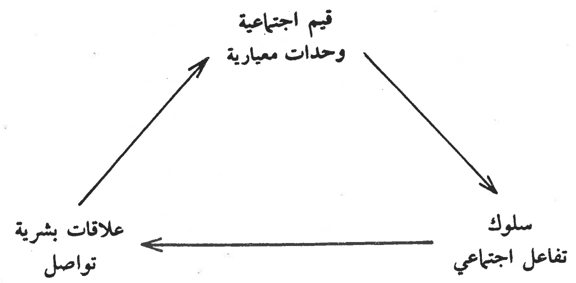
ويمكن التعرف على الفروق بين كل من القيمة والمفاهيم الأخرى إذا ما تعرضنا لتعاريف مثل هذه المفاهيم، كالاتجاهات والمعايير الاجتماعية.

ـ **الاتجاهات الاجتماعية**: هي الخط أو المسيرة التي تتخذها الحياة الاجتماعية في مجتمع، فيما يتعلق بالأسباب الاجتماعية لوجوده ودوافعه من أجل الحياة المشتركة.

ـ **المعايير الاجتماعية**: هي العادات المشتركة التي تواجه استجابات أعضاء الجماعة وتحقق التطابق في التصرفات البسيطة أو في الأحكام الخلقية المعقدة مما يزيد من وحدة الجماعة، فهي تعتبر بمثابة إطار يرجع إليه الفرد كي تكون مرشداً له لما ينبغي أن يكون عليه سلوكه.

وتمثل القيم الاجتماعية ركناً أساسياً في تكوين العلاقات البشرية، إذ أن القيمة هي التي تنتج السلوك الاجتماعي، وهذا السلوك هو الذي يؤدي إلى تكوين شبكة العلاقات البشرية والتي بدورها تؤثر مرة أخرى على تكوين قيم أخرى وتطورها. ويمكن تمثيل العلاقة فيما بين القيم والسلوك بالشكل التالي:

(١) محمد علي محمد، وغريب أسعد احمد ـ مدخل الى علم الاجتماع ـ الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٤



وهذه العلاقات الدائرية شبه المغلقة لا تحدث إلاّ في الجماعات المنظمة المتمايزة التركيب. إذ أن عملية التفاعل المنظم هي التي تكون العلاقات البشرية أو الاجتماعية، وعندما تتكون هذه العلاقات تكون هي الأساس الذي ينظم تفاعل الفرد مع المواقف المختلفة، بما في ذلك مواقف المفاضلة والاختيار التي تنتج عنها القيمة الجديدة والتي تساعد على تطوير القيمة الثابتة نسبياً.

فأعضاء الجماعة يميلون إلى التقيد بمجموعة من القيم الاجتماعية تناسب الغرض من تكوين الجماعة كما يميلون إلى بذل نوع من الضغط الاجتماعي على من يخالف هذه القيم، وبالتالي فإن تفاعل الأفراد الذي يكون العلاقات الاجتماعية أو البشرية يصبح خاضعاً لهذه القيم التي يحميها ويؤكدها الضغط الذي يبذله أفراد الجماعة.

نماذج من القيم الاجتماعية:

لكل مجتمع من المجتمعات قيمه الخاصة به، ولكنَّ هناك قيماً عامة توجد في الغالبية العظمى من بلدان العالم، وتعتبرها كافة الأمم، قيما بشكل أو آخر، قد تكون قيما بؤرية هامة أي يدور حولها نظام المجتمع، وقد تكون قيما في مجال العموميات الثقافية، أي أن الأكثرية وليس الجميع في المجتمع يقدرون هذه القيم، وقد تكون قيما خاصة بفئة دون أخرى إلاّ أن هناك قيماً هامة[1] تسعى إليها وتعتز بها معظم المجتمعات البشرية التقدمية وهي:

(١) أحمد زكي بدوي ـ الخدمة الاجتماعية في مجال العمل ـ الاسكندرية: دار الجامعات المصرية، وأحمد زكي بدوي ـ معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية ـ بيروت: مكتبة لبنان ـ ١٩٧٨.

١ ـ التضامن الاجتماعي:

التضامن عملية اجتماعية تقوم على التآزر والاعتماد المتبادل كما يظهر في الحياة الاجتماعية، ويتطلب ذلك تعاون الأفراد والعمل معاً بروح الفريق، حيث تصل إلى درجة عالية من الوحدة تدفع الجماعة إلى أن تعمل كفرد واحد. فالإنسان كائن اجتماعي لا يملك أن يعيش إلاّ في المجتمع، ولابد أن يكون هناك رابطة بين الأفراد كي يعيشوا معاً، لأن لهم حاجات مشتركة لا يمكن تحقيقها إلاّ بالمشاركة والتعاون، وتبادل الخدمات عن طريق تقسيم العمل وتوزيع الأدوار بما يكفل الاستمرارية والحياة الأفضل للجميع.

٢ ـ العدالة الاجتماعية:

العدالة الاجتماعية هي المبدأ القائل بتعاون الأفراد في مجتمع متحد يحصل فيه كل عضو على فرصة متساوية وفعلية لكي ينمو ويتعلم لأقصى ما تتيحه له قدراته. وتعمل هذه العدالة الاجتماعية على تدعيم المبادئ الأخلاقية وتحقق لأفراد المجتمع مساواة حقيقية لا شكلية في جميع الحقوق، وتزيد من احترام العمل، كما تعمق بين أفراد المجتمع أواصر المحبة والاحترام المتبادل، وتقوم العدالة الاجتماعية على أساس تعاون أفراد المجتمع وعلى تكافؤ الفرص أمام الجميع بغض النظر عما بينهم من فروق في الجنس، أو الدين، أو المستوى الاقتصادي، أو المستوى الاجتماعي، بحيث يتاح لكل عضو الفرص المناسبة لاستعداداته، وقدراته وعطائه وبعد ذلك.

٣ ـ الحرية:

هي القدرة على الاختيار بين عدة أشياء، أي حرية التصرف والعيش والسلوك حسب توجيه الارادة العاقلة، دون الاضرار بالغير، أو دون الخضوع لأي ضغط إلاّ ما فرضته القوانين العادلة الضرورية، وواجبات الحياة الاجتماعية، ويجب أن تتوازن الحرية مع المسؤولية التي يضطلع بها الفرد في حدود استعداداته وقدراته، وهناك أشكال مختلفة من الحريات أهمها:

ـ حرية العقيدة: وتشمل حرية الفرد في الانتماء إلى أحد الأديان أو العقائد باختياره وأن يعبر عن ذلك بشكل علني عن طريق العبادة أو الممارسة أو التعليم.

ـ حرية إبداء الآراء، أو حرية الرأي: ويشمل ذلك حرية التعبير عما في داخل دون أن يتدخل فيه أحد، تعبير عن أفكاره إما شفاهة أو كتابة، أو طباعة أو بأي وسيلة يختارها.

ـ حرية العمل: أي يحق للفرد الاختيار الحر للعمل الذي يريد وتغييره أو تركه أو الامتناع عن أدائه دون ضغط من أحد.

وهناك حريات أخرى كثيرة تمارس في كافة المجتمعات الحرة، مثل الحرية النقابية، وحرية التنقل، وحرية الزواج... إلخ.

وكما ذكر سابقاً، للفرد الحرية في أن يعمل أو يعتنق ما يريد ولكن هذه الحرية ليست مطلقة بل محددة ضمن قانون عادل وأنظمة سليمة، وعرف متفق عليه في المجتمع. والحرية موضوع يتميز بالمسؤولية والالتزام.

٤ ـ الديموقراطية:

الديموقراطية نظام اجتماعي يؤكد قيمة الفرد وكرامته الشخصية والإنسانية، وتقوم الديموقراطية على أساس مشاركة الأفراد كل الأفراد في تنظيم شؤونهم، وحكمهم لأنفسهم، وتعتمد الديموقراطية على مبدأ المساواة بين الأفراد لا تمييز ولا تمايز لأحد على آخر بسبب الجنس، أو الدين، أو اللغة، أو الطبقة الاجتماعية، الكل سواسية في الحقوق والواجبات، وليس معنى هذا أن يحكم الكل وأن يدير شؤون المجتمع كل فرد فيه، ولكن معناه أن يشارك كل فرد برأيه ـ كما هو الحال في الانتخابات النيابية ـ وأن يختار الأفراد من يثقون بهم ليمثلوهم في شؤون حياتهم.. وهناك أنواع كثيرة من الديموقراطية، ـ الديموقراطية السياسية، والديموقراطية الصناعية، والإدارة الديموقراطية، والحكم الديموقراطي، والحياة الديموقراطية...

٥ ـ الكرامة:

الكرامة هي احترام النفس، وهي السلطة المطلقة التي يمتلكها الفرد على نفسه، والتي تتيح للفرد أن يصون نفسه وتحرره من العبودية والشهوات، وبعض نواحي الضعف والنقص التي تصيب الطبيعة البشرية، والكرامة صفة

محببة لكل مخلوق، لأن فقدان الكرامة يعني الذل، والهزيمة، والقبول بالظلم والاضطهاد، فالكرامة هي مصدر وأساس للحياة الكريمة، فإذا ما نقص احترام الإنسان لذاته، زالت أمور حياته، وصار عالة، امعة، تتقاذفه أمواج الحياة، واحتقره الناس من حوله.

الخصائص العامة للقيم الاجتماعية:

للقيم خصائص عامة تمتاز بها[1]، منها:

١ ـ تعتبر القيم معتقدات مصدرها الثقافة: هذه المعتقدات قد تكون معتقدات وصفية (خاطئة أو صحيحة)، وقد تكون معتقدات تقويمية أي يتم على أساسها الحكم على موضوع معين على أنه حسن أو سيِّئ، ومعتقدات ناهية، أي تضبط سلوك الأفراد في المجتمع وتنهاهم عن اعمال غير ذات قيمة، أو أنها تضاد القيمة المطلوبة، والقيمة معتقد أصله الشيء المرغوب والمفضل، لذا لابد من وجود ثلاث عناصر للقيمة وهي:

أ ـ العنصر المعرفي

ب ـ العنصر العاطفي

جـ ـ العنصر السلوكي، بمعنى أننا نعرف القيمة ونفهمها، ومن ثم تصبح جزءاً منا لأنها تمس عواطفنا وشعورنا، وبالتالي نقوم بأدائها أو ممارستها كسلوك يميزنا عن غيرنا.

لذا فالقيمة تفصح عن نفسها في أنماط التفضيل والاختيار بين البدائل المتاحة بمعنى أننا نمارس سلوكاً معيناً نابعاً من ثقافتنا وقيمنا ونحن راضون عن هذا السلوك.

٢ ـ تتسم القيم بالاستمرار النسبي: فلا يمكن القول بأن القيم مستمرة وابدية غير متغيرة ولا متطورة، بل إن بقاءها نسبي، وهذا لا يعني أنها دائمة

(١) محمد علي محمد ـ المرجع السابق.

التغير والتبدل وإلاّ ضاع المجتمع، فهي استمرارية إلى أن يتضح أن ممارستها يمكن أن تتحول لظهور ظروف جديدة أو لتغلب قيمة على أخرى وهذا الموضوع شائك، نقول إنها استمرارية نسبياً ثم نقول إن التغير يؤدي إلى الضياع، وتعذر استمرار الحياة على المستوى الفردي والشخصي، فكيف تتغير الأنماط الثقافية، والبناءات الاجتماعية، ونقول إن تغير القيم يكون تدريجياً، أو نقول إن القيم استمرارية ولكن هناك تدرج قيمي، أو سلم قيمي، إذ أننا نعتبر عنصراً معيناً ذا قيمة اجتماعية، وبالتدريج ننشئ أطفالنا، ونربي الأجيال على مثل هذه القيمة، ثم تأتي عناصر أخرى تدخل على القيمة فتبدأ هذه القيمة بالتحول شيئاً فشيئاً درجة درجة، وتصعد سلم التغير إلى أن تستقر، ورغم هذا القول فإن هناك قيماً جوهرية لا تتغير ولا تتبدل، وهنا يمكن القول إن القيمة كمفهوم ومحتوى ثابتة، ولكن الذي يتغير هو الشكل والممارسة والوسيلة والطريقة، هذا التغير مرهون بتغير المجتمع، وهنا يظهر صراع القيم.

قياس التفاعل الاجتماعي:

يقاس التفاعل الاجتماعي بطريقة خاصة اطلق عليها الطريقة السوسيومترية Socio–Metric وهي طريقة لقياس السلوك الاجتماعي ـ سلوك الأفراد داخل الجماعة ـ وتعطي هذه الطريقة صورة واضحة عن العلاقات داخل الجماعة.

وتطبق هذه الطريقة بأن يعطى لكل فرد من أفراد الجماعة عدد من الأسئلة عن زملائه الذين يجب أن يشترك معهم في بعض الاعمال والأنشطة سواء داخل أو خارج غرفة الدراسة، ومن مجموعة الإجابات يستنتج شكل هندسي يطلق عليه «سوسيوجرام Sociogram»[1]. أما الأسئلة فتشمل فيما يلي:

١ ـ اكتب اسم زميل من صفك تحب أن تشترك معه في رحلة.

٢ ـ اكتب اسم زميل من الذين تحب أن تراجع دروسك معه.

(١) Musgrave, P. W. The Sociology of Education, P. 213.

٣ ـ اكتب اسم زميل تحب أن تقضي معه أوقات فراغك.
٤ ـ اكتب اسم زميل تحب أن تدخر معه بعض نقودك.
٥ ـ اكتب اسم زميل تحب أن تدعوه لمنزلك لزيارتك.
٦ ـ اكتب اسم زميل تعتقد أنه صديق مخلص.

ويتم حساب الدرجات السوسيومترية بعد تحويلها إلى ارقام كما يلي: الاختبار الأول (٥)درجات، والثاني (٤) درجات، والثالث (٣) درجات، والرابع (٢) درجات، والخامس درجة واحدة، ويترتب جدول الإجابات بالطريقة التالية:

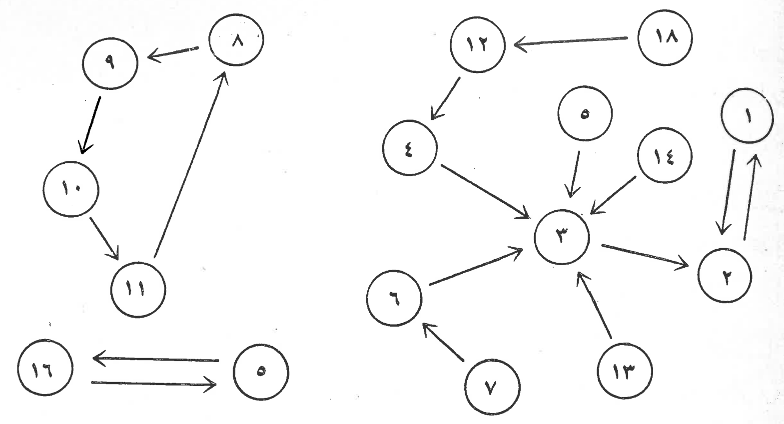
الجدول رقم (٢)

اسم العضو	عدد درجات الاختبار	الدرجة السوسيومترية
س (١)	٣ ٣ ٣ ٤ ٥ ٥	٢٣
س (٢)	١ ١ ١ ١ ٤ ٤	١٢
س (٣)	٥ ٢ ٤ ٣	١٤
س (٤)	٥ ٢	٧

رسم السوسيوجرام:

إن رسم السوسيوجرام يبين خطوط العلاقات الاجتماعية داخل الجماعة[1]، والشكل التالي رسم سيوسيوجرامي لمجموعة من الأفراد كما يوضح انواع العلاقات بين الأفراد وفي الجماعة ككل.

(١) محمد مصطفى الشعبيني ـ علم الاجتماع التربوي ـ القاهرة: دار النهضة العربية ١٩٧٨، ص ٩٢



إن السوسيوجرام يتكون من ذرات اجتماعية، يمكن أن تكون هذه الذرات متجمعة، ويمكن أن تكون متخلخلة، أو مفككة، أو احادية، إنه يمكن أن يكون تجمع حول شخص معين له علاقات مع الكثير من المجموعة، كما يمكن أن يكون هناك فرد معين منعزلاً عن كل المجموعة وفي المثال السابق الذكر نرى أن رقم (٣) مثلاً يشبه النواة في الخلية، إذ تتجمع حوله أكثر العلاقات بين الأفراد، كما نرى أن حجم تعارفه هو الأكثر بين ال(١٨) فرداً في المجموعة، وليكن صف أو فصل دراسي مثلاً.. فهناك علاقات واضحة بين هذه المجموعة:

١ ـ علاقة مركزية: ممثلة في الرقم (٣).
٢ ـ علاقة مزدوجة: ممثلة في رقم (١، ٢) ورقم (١٥، ١٦).
٣ ـ علاقة تتابعية: ممثلة في ارقام ١٨، ١٢، ٤، ٣، ٢، ١.
٤ ـ علاقة دائرية مقفلة: ممثلة في ٨، ٩، ١٠، ١١.
٥ ـ علاقة مفردة: ممثلة في ارقام ٧، ١٣، ١٨.
٦ ـ ذاتية: وهي الانعزال ومع أنه ليس هناك علاقة إلاّ أننا يمكن أن تقول عنها إنها علاقة مع الذات، ومثل هذا الفرد يعيش مع نفسه وهو داخل المجموعة وهو ما نطلق عليه الانعزالي، كما يمكن أن نصف بعض هذه العلاقات كل على حدة كما يلي:

العلاقة الأولى ـ المركزية هي المطلوبة في التفاعل الاجتماعي وكلما زادت علاقة الفرد بالأفراد الآخرين حكماً كان التفاعل أكثر، وكانت العلاقات البشرية أفضل والمجتمع أسلم.

أما في الحالة الثانية فهناك علاقة بين الفرد ومن في المركز وقد تكون تلك العلاقة قائمة على مفهوم القيادة أو القدوة، قائد ومقود، أو كبير وصغير، عالم وغير عالم.

وفي الحالة الثالثة علاقة تسلسلية يمكن أن نشبهها بالتدريج أو التسلسل بمعنى الأول مع الثاني، مع الثالث وهكذا، وقد تجمع مثل هذه العلاقة القرابة في المجموعة الواحدة الجد، فالابن، فابن الابن،

أما في حالة العلاقة الدائرية المقفلة فتكون بأن مجموعة تنفصل عن الآخرين وتكون فيما بينها مجموعة تسلسلية أيضاً ولكنها محصورة فيما بين المجموعة الواحدة، ويمثل هذه المجموعة من يقيمون في مراكز الاحداث أو حتى نزلاء السجون الذين يقيمون في غرفة واحدة.

وفي حالة العلاقات المنفردة نرى أن الفرد الواحد مع أنه ضمن المجموعة ويدور في فلكها إلاّ أنه تابع لفرد واحد منها، أو متصل مع فرد واحد فقط في المجموعة فهو معه دائماً وصلته بالجماعة تتم عن طريق هذا الفرد وفي مثل هذه الحالة يكون هذا الفرد تابعاً ليس له رأي، بل وحتى افكاره ينقلها عنه من يتصل به وبالمجموعة، بمعنى أن هناك حلقة وصل بينه وبين الجماعة..

أما العلاقات الذاتية، وهي الانعزال والعزلة ففي الحقيقة سميت كذلك ـ علاقات ذاتية ـ لأنها تنعكس على الذات، ولكنها في الواقع ليست علاقات اجتماعية ولا تدخل في باب العلاقات الاجتماعية ولكن هناك بعض الحالات التي يعيش فيها الفرد مع نفسه وكأنه يعيش مع جماعة وفي مجتمع فهو مع الجماعة بجسمه لكن روحه ونفسه تتفاعل مع نفسه، لا شك أن مثل هذا الشكل التوضيحي السوسيوجرامي يعطينا فكرة عن التفاعل الاجتماعي، والعلاقات الاجتماعية بين الأفراد في حجرة المدرسة أو غرفة الدراسة، ومثل هذه

المعرفة تساعد المعلم وتتيح له المعرفة الدقيقة بديناميات الجماعة التي يقوم بتعليمها، أو الاشراف عليها، الأمر الذي يجعله اكثر نجاحاً في عمله التربوي[١].

القيم :

القيم أحكام مكتسبة من الظروف الاجتماعية يتشربها الفرد ويحكم بها، وتحدد مجالات تفكيره وتحدد سلوكه وتؤثر في تعلّمه، فالصدق والأمانة والشجاعة الأدبية والولاء وتحمل المسؤولية والانتماء كلها قيم يكتسبها الفرد من المجتمع الذي يعيش فيه، وتختلف القيم باختلاف المجتمعات والجماعات الصغيرة. وقد تكون القيمة إيجابية أو سلبية، كالتمسك بمبدأ، أو احتقاره والرغبة في البعد عنه.

ولكل قيمة من القيم معنيان: موضوعي Objective وذاتي Subjective والموضوعي أو القيمة الموضوعية هي كل شيء يحظى بالتقدير والرغبة والقبول للغالبية العظمى إن لم يكن لجميع الأفراد في المجتمع، وذلك لأنه يعبر أو لأنها تعبر عن مصلحة واهتمام كافة الناس في المجتمع الواحد على الأقل.. أما القيمة الذاتية أو القيم الذاتية فهي كل ما يعتبر جديراً بالاهتمام لدى فرد معين، وعنايته ونشدانه له لاعتبارات خاصة فيه وقد تكون نفسية (سيكولوجية) أو حتى اجتماعية أو اقتصادية.

أنواع القيم :

هناك قيم لا حصر لها في المجتمعات مثل:

١ ـ القيم الجمالية Esthetical

وهي القيم التي تبين القبح والجمال، أي ترسم معايير للقبح والجمال، وتبين مثلاً متى تكون الفنون جميلة، ومتى تكون غير ذلك.

---

(١) ابراهيم ناصر، ودلال ملحس استيته ـ علم الاجتماع التربوي ـ عمان: المطابع التعاونية، ١٩٨٤، ص ٩٢

٢ ـ القيم الأخلاقية: Ethical

وهي القيم التي ترسم معايير الخير والشر وتبين متى يكون الفعل أو الشيء خيراً ومتى يكون شراً.

٣ ـ القيم المنطقية: Logical

وهي التي تبين الصواب والخطأ في الأفعال والإتجاهات والمعتقدات.

٤ ـ القيم العقلية: Rational

وهي القيم التي تبنى على التفكير العقلي في موضوع القيمة وتقرر وجودها.

٥ ـ القيم الاجتماعية: Social Values

وهي الصفات التي يفضلها أو يرغب فيها الناس في ثقافة معينة وتتخذ صفة العمومية بالنسبة لجميع الأفراد، كما تصبح من موجهات السلوك أو تعتبر أهدافاً.

والذي يهمنا في علم الاجتماع التربوي تنمية كل هذه القيم لدى أفراد المجتمع الناشئين، رغم أن القيم الاجتماعية هي التي يكون عليها تركيز العملية التربوية وهذا لا يعني بأي حال اهمال جوانب القيم الأخرى. فالتربية عملية شمولية تكاملية تسعى إلى تكوين الأفراد أعضاء عاملين في المجتمع، وهي لذلك تكسب الأفراد القيم الموضوعية والذاتية التي يرضى عنها الجماعة وتلقى القبول والافضلية والاهتمام من كافة أفراد المجتمع المحيط أو الثقافة المحيطة.

السلوك الثقافي الاجتماعي

ليس هناك ما يثبت أن السلوك الثقافي الاجتماعي[١] يمكن انتقاله بيرلوجياً وعضوياً، من الأبوين إلى الأبناء لأن بني البشر لا يمارسون سلوكاً اجتماعياً معيناً بطريقة لم يتعلموها، فكل مجتمع يجد أسلوباً لتقديم قاعدته الثقافية لأجياله الناشئة، ولكن ورغم تقديم الثقافة لجميع أفراد الأمة الواحدة بنفس المقدار والكيفية إلاّ أنه ليس هناك فرد يمكنه الإلمام بجميع عناصر الثقافة كاملة في مجتمعه، لأن هناك ثقافة خاصة بالجنس، وأخرى خاصة بالعمر، أي هناك ثقافة تعلم للرجال وأخرى للنساء، وكذلك ثقافة تقدم للصغار وأخرى للكبار.

إن السلوك الثقافي يبدأ تعلمه في الأسرة ومن الأبوين والأقارب وأفراد العائلة، وبوصول الأطفال إلى سن المدرسة يتعلمون ثقافة مجتمعهم بواسطة المدرسة، ومن ثم مؤسسات المجتمع الأخرى، وخاصة وسائل الإعلام، والمؤسسات الدينية، والمؤسسات الترويحية،

ولقد لوحظ بأنه من المتوقع من الأفراد تعلم مضمون السلوك الثقافي الاجتماعي العام (مثل: اللغة، وكلمات التحبب، والكتابة، والقراءة، والسلوك العام) وكما ذكر سابقاً ـ إن الفرد يتعلم أنواعاً محددة ومعينة من السلوك تعتمد في شكل رئيسي على جنسه وعمره، فيتعلم الرجال في مجتمعات عديدة الاعمال الجسدية الشاقة، وكذلك الاعمال التي تحتاج إلى قوة عضلية، كما تتعلم النساء الاعمال الأقل استخداماً للقوة الجسدية، كالعناية بالأطفال، أو اعمال المنزل، أو حتى أمور الكتابة والسكرتارية.

(١) ترجمة بتصرف للفصل السابع من كتاب
Nicholson, Clara. Anthropology and Education, Columbus, Ohio: Charles E. Mermill Publishing Co., 1968 - (Chapter 7).

وفي المجتمعات المتقدمة التي تهتم بالأطفال وتربيتهم، تحاول هذه الأمم ابعاد الصغار عن بعض انواع التعليم، أو بعض المواقف المؤلمة كما في حالات موت أحد الأقارب أو المقربين، أو ابعادهم عن بعض التساؤلات التي تدور في مخيلتهم مثل مواضيع الجنس.

وتحدد جميع النظم الاجتماعية موضوع التعليم على أسس ومراتب اجتماعية معينة، فقد تعود إلى الوراثة، أو الطبقة الاجتماعية، أو العائلة، أو الجنس.. إلخ.

إن أي إنسان طبيعي يمكنه تعلم السلوك الاجتماعي في مجتمعه، ومع أن ما يتعلمه إنسان أو ما هو مطلوب منه تعلمه، في ثقافة يختلف عما يطلب من إنسان آخر تعلمه في ثقافة أخرى، وبالتالي فإن سلوكاً معيناً يكون مرغوباً ومطلوباً في ثقافة، وغير مرغوب في ثقافة أخرى.

إن عملية تعلم السلوك الثقافي الاجتماعي، عبارة عن تعلم أنماط معينة يرضى عنها المجتمع، ويرتضيها كصمام أمان لحياة الجماعة، كما وتعتبر الثقافة في أي مجتمع صفة مميزة للإنسان فيه، ونمطاً سلوكياً يميزه عن غيره أينما سار أو ذهب، سواء في مجتمعه المحلي أو المجتمعات الخارجية التي ينتقل إليها، وبهذا يمكن التعرف عليه من خلال نمط السلوك العام الذي يتبعه، بين أهله في بلده، أو بعيداً من محيطه الثقافي وأرض وطنه.

إن السلوك الثقافي الاجتماعي، يعتمد اعتماداً كلياً على ثقافة المجتمع وتراثه، وما يؤمن به ويتخذه هدفاً. وتعلم هذا السلوك هو واجب وضرورة لأن المجتمع يعتبر سلوك الأفراد فيه عملية متميزة عن المجتمعات الأخرى، ونمطاً سلوكياً خاصاً يميزهم عن غيرهم، ولهذا يمكن التعرف على أفراد ثقافة معينة من خلال مراقبة سلوكهم العام.

إن الثقافة هي التي تعطي لكل مجتمع من المجتمعات «روحه الجماعية التعاونية» التي تظهر في سلوك أفراده، وهي بالتالي التي تمكن أعضاء المجتمع الواحد من العيش معاً بوئام، وسلام، وتناسق، وانسجام، وتوافق، وتناغم، واستمرارية.

الثقافة

جاءت كلمة الثقافة لتشير إلى ذلك الجزء من الموجودات الذي قام الإنسان بنفسه على صنعه، متمثلاً في الأفكار والمثل والمعارف والمعتقدات، والمهارات، وطرق التفكير والعادات، وطرق معيشة الأفراد، وقصصهم والعابهم، وموضوعات الجمال وادواته عندهم، ووسائلهم في الإنتاج والتقدم، والموسيقى التي يعزفونها، والنظام الأسري الذي يسيرون عليه، ومعنى الحق والواجب المصطلح عليه بينهم، ووسائل انتقالهم واتصالهم والابطال الذين يقدرونهم وغير هذا كثير، وكثير جداً مما انشأه الإنسان ليكوّن الأساس الذي يجمع بين أفراد مجتمع معين، ويربط بين مصالحه.

والثقافة(١) كلمة تداولتها كل الأوساط والطبقات والفئات، كما تداولتها ولا تزال كل الأمم والشعوب، كل يتناولها من الزاوية التي تهمه، أو ترضي حاجة عنده، وهي في كل الحالات وكل الاستعمالات تتحدث عن نفسها، إنها تتحدث بصوت أعلى من صوت الكلمات، لأنها تفصح عن نفسها كنتائج لممارسات أهلها، كما تتحدث من خلال الأدوات، والأجهزة، والآلات، والعمارات الشاهقة، والبيوت بجميع اشكالها واحجامها والوانها.

وتتحدث الثقافة وتفصح عن نفسها بسلوكاتنا الحياتية، وطريقة تربيتنا لأطفالنا واسلوب كتاباتنا، وتاريخنا وكتابة هذا التاريخ، وممارساتنا لفنوننا التشكيلية، وأدائنا لرقصاتنا الشعبية، واستعمالنا لامثالنا، ونحتنا لاشكال ونماذج تجريدية نابعة من داخلنا، وتصورنا لأمور غيبية، وطرقنا في الحصول على اشيائنا.

إن الثقافة تعلمنا كيف يتعامل أحدنا مع الآخر، كما تبين لنا ما نتوقع من

(١) ابراهيم ناصر - اسس التربية - ط٢، عمان: دار عمار للنشر والتوزيع، ١٩٨٩، ص (٢٨٣ - ٢٨٨).

بعضنا البعض، إنها تدلنا على الطرق التي بها نحل مشاكلنا الصغيرة والكبيرة، البسيطة والمعقدة، كما تعلمنا طرق التعامل في المناسبات المختلفة في أفراحنا واتراحنا مع احيائنا وموتانا، كما ترشدنا الثقافة إلى ما نعبد، ومن نعبد، وكيف نعبد ذلك المعبود، وكيف نتعامل مع القوى الخفية العليا، كيف نقدرها. وكيف نقدم لها الطقوس، وماذا نتوقع منها، . . . إنها كل ما نقوم به خلال حياتنا من ولادتنا إلى مماتنا. فالثقافة إذن كلمة أو لفظة نصف بها ممارساتنا التي نقوم بها خلال حياتنا قصرت أم طالت، إنها:

ـ السلوك الذي يرضى عنه إنسان مجتمع معين ويرتضيه لنفسه.
ـ النظام الذي يقبله الأفراد في مجتمع معين ويقبلون التعامل به مع غيرهم.
ـ المظهر الذي يميز فئة من الناس عن فئة أخرى.
ـ النمط الذي تسير عليه مجموعة من بني البشر.
ـ الرمز الذي يعبر عنه بافعال وكلمات وسلوك.

وهكذا يمكن القول إن الثقافة في محتواها المادي وغير المادي لفظة واسعة المحتوى كثيرة المعاني، قوية التأثير، منتشرة الاستعمال، عريضة القاعدة، يستعملها رجل الشارع العادي بمفهوم خاص به، كما يستعملها المتعلم بمفهوم ثان، ويستخدمها المثقف بمفهوم رابع، ويستخدمها الكبير بمعنى، والصغير بمعنى آخر. . . وهكذا.

فالثقافة. . ممارسة وسلوك، إنها الخارطة الجغرافية التوضيحية التي يحملها الإنسان على كتفيه، يهتدي بهديها ويسير وفق خططها. إنها رادع داخلي، ومراقب منبه، ودليل يقظ، يرشد الإنسان في حياته، فيدله على الطريق الذي يرضاه المجتمع المحيط بالفرد، وتقبله الجماعة التي يتعامل معها. . إنها الإطار الاجتماعي العام الذي يعيش فيه الأفراد، فيمارسون أنماطاً سلوكية مرضيًّا عنها.

تعاريف الثقافة:

الثقافة عبارة عن نتاج فكري، سلوكي إنساني، نظري عملي، مادي وغير مادي، وقد ورد في معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية أن الثقافة: «هي البيئة التي خلفها الإنسان من المنتجات المادية وغير المادية التي تنتقل من جيل إلى

آخر» وتناول العلماء مفهوم الثقافة كل من الزاوية التي تخدم تخصصه، وتوصله إلى هدفه المنشود».

فالمؤرخون يرون أن الثقافة تعني التراث الاجتماعي لبني البشر، وعلماء الاجتماع يرون أن الثقافة تعني الجانب الفكري من التقدم البشري، في حين أن الحضارة تعني الجانب المادي من التقدم البشري، أما علماء النفس فيرون أن الثقافة نوع من السلوك الشخصي النابع من التفكير الموروث في حين أن علماء علم الإنسان (علم الأنتروبولوجيا) ينظرون إلى الثقافة ـ وهي محور دراستهم وتخصصهم ـ ينظرون إليها كعنصر يميز الإنسان عن المخلوقات الأخرى، كما أنها أي الثقافة تميز بين الإنسان وأخيه الإنسان الآخر في المجتمع الواحد، وفي المجتمعات المختلفة، البدائية البسيطة، والمعقدة، وما بينهما.

ولقد وردت لفظة الثقافة في الكتابات القديمة بمعان مختلفة وبقيت تتداول بهذه المعاني المتعددة، فجاءت تعاريفها منذ القدم كاستخداماتها متعددة، ولكن هناك تعاريف صارت معروفة في الكتابات الحديثة ولدى العاملين في شؤون الثقافة الإنسانية. .

فالثقافة لفظة جاءت من المصدر الثلاثي في اللغة العربية «ثقف» والثقافة (بكسر الثاء) تعني الفطنة، والنشاط، والحذق. وثقف الرمح، أي ساواه وعدّله. هذا هو الأصل اللغوي العربي للثقافة، أما التعاريف التي وردت في كثير من كتابات علم الإنسان، وجاءت على ألسنة علماء علم الإنسان أو علم الاجتماع أو التربية فهي كما يلي:

تايلورTylor وهو من أوائل علماء علم الإنسان الذي تحدث عن الثقافة، قال: الثقافة هي ذلك المركب الذي يشمل المعرفة، والمعتقدات، والفنون، والأخلاق، والقانون، والعرف، والعادات، وسائر الممكنات التي يحصل عليها الفرد باعتباره عضواً في مجتمع».

وهناك تعريف آخر لرالف بدنجتونRalph Piddington يقول فيه «الثقافة مجموعة الأدوات المادية والفكرية التي يستطيع بها ذلك الشعب اشباع حاجاته الحياتية والاجتماعية، وتكيف نفسه لبيئته». أما روبرت بيكرستيدت

Robert Bicrestedt فيقول «الثقافة هي ذلك المركب الذي يشمل كل شيء نؤمن به، وكل شيء نفعله، بل وتشمل كل شيء نملكه بصفتنا أعضاء في مجتمع» أما كلباتريكKelpatric فيرى أن الثقافة، هي كل ما صنعته يد الإنسان وعقله من مظاهر في البيئة الاجتماعية، أي كل ما اخترعه الإنسان أو اكتشفه، وكان له دور في العملية الاجتماعية».

هذه بعض تعاريف الثقافة، وهناك غيرها الكثير، ولكننا يمكن أن نجمع كل هذه التعاريف معاً لنخرج بتعريف شافٍ وافٍ للثقافة فنقول..

الثقافة هي: **مجموعة الأفكار، والقيم، والمعتقدات، والتقاليد، والعادات، والأخلاق، والنظم، والمهارات، وطرق التفكير، واسلوب الحياة، والعرف، والفن، والنحت، والتصور، والرقص الشعبي، والأدب، والرواية، والأساطير، والفلسفة، والتاريخ، ووسائل الاتصال والانتقال، وكل ما صنعته يد الإنسان وانتجه عقله من نتاج مادي ومعنوي (غير مادي) - فكري، أو توارثه من الأجيال السابقة، أو أضافه إلى تراثه نتيجة عيشه في مجتمع معين**».

عناصر الثقافة:

يرى بعض علماء علم الإنسان أنه يمكن تقسيم الثقافة إلى قسمين كبيرين:

أ - العناصر المادية: ويقصد بها ما انتجه الإنسان، ويمكن اختياره بالحواس المعروفة.

ب - العناصر غير المادية: ويقصد بها العناصر التي تتضمن قواعد السلوك والأخلاق، والقيم، والعرف، والعادات والتقاليد، والأساليب الفنية التي تستعملها الجماعة نتيجة لوجود الإنسان في مجتمع محدد المعالم.

وهناك من العلماء من يرى أن الثقافة تتكون من قطاعات أو مكونات رئيسية، أي أن المحتوى الثقافي لا يخرج عن كونه مجموعة من القطاعات أو المكونات، هذه المكونات يمكن تصنيفها في ثلاث فئات كما يلي:

الفئة الأولى:

المكونات المادية أو القطاع المادي للثقافة: وهي ما يستعمله الإنسان في حياته اليومية من أدوات وأثاث، ومسكن، ووسائل نقل وسفر، وملبس، واسلحة، ومبانٍ، وحلي، وعادات معينة في طريقة الأكل والتغذية.

الفئة الثانية:

المكونات الاجتماعية أو القطاع الاجتماعي للثقافة: وهو ما يطلق عليه اصطلاحاً البناء الاجتماعيSocial Structur ويمكن القول باختصار إن البناء الاجتماعي هو هيكل المجموعة الاجتماعية من الناس، المستمرة في الوجود لفترة كافية من الزمن، وتنشأ بين أفرادها علاقات وتفاعل، ينشأ عنها مجموعة نظم اجتماعية، ويقوم كل عضو في المجتمع بدور وله مركز يشغله، والمقصود هنا (بالبناء الاجتماعي)، النظم الاجتماعية التي عن طريقها تصل مجموعة من السكان إلى حالة التكامل والترابط، وهي الحالة اللازمة لتكوين المجتمع، أو هي الجماعات المستمرة في الوجود لوقت كافٍ، بحيث تستطيع الاحتفاظ بكيانها كجماعات، رغم التغيرات التي تحدث للأفراد.

الفئة الثالثة:

المكونات الفكرية أو القطاع الفكري للثقافة: ويشمل العناصر والمركبات والنظم الثقافية التي يغلب عليها طابع الافكار والعواطف، ويتفق (علماء علم الإنسان) على أن هذا القطاع يشتمل على نسق (اللغة، الفن، السحر، الدين، العلم).

أما تقسيم الثقافة إلى عناصر واسعة الاستعمال في الدراسات الإنسانية (الانتروبولوجية) - دراسات علم الإنسان، فهي تقسيمات رالف لنتون[1] Ralph Linton والذي قسم عناصر الثقافة إلى ما يلي:

(١) رالف لنتون - دراسة الانسان - ترجمة عبدالله الناشف، بيروت: منشورات المكتبة العصرية، ١٩٦٤.

١ ـ العموميات أو العالميات الثقافية Universals

يجب أن يكون مفهوماً، أنه في إطار استخدام اصطلاح «العالميات الثقافية» فإنه يقصد بذلك محتوى الثقافة، وليس الشكل الذي يتغير من ثقافة لأخرى، وتمثل العالميات الثقافية: المعتقدات، والقيم التي يعبر عنها أحياناً بمصطلح جوهر (Core) الثقافة، وهي المستوى الواعي لعقول الأفراد، والعالميات أو العموميات الثقافية وفي اعمق مستويات التحليل، تبين أنها، تلك العناصر التي تميز فرداً من فئة معينة عن فرد من فئة أخرى، وذلك لأنه بواسطة اتباع طريقة سلوك معين يمكن التمييز بين الأمريكي والعربي والصيني.. مثلاً.

والعموميات هي تلك المهارسات التي نتعلمها مبكراً، وتتكون العموميات من الأفكار والسلوكات التي توجد بصفة عامة عند كل أعضاء المجتمع الواحد البالغين، وتكون معايير بواسطتها تقرر الجماعة المحلية إن كان الفرد يسلك سلوكاً طبيعياً أو عادياً في المجتمع. وتتضمن العموميات: طرق اللبس، واللغة، والشعائر الدينية، وطقوس الافراح، والعلاقات بين الأفراد، ومعاملة الناس في البيئة الواحدة، ومعاملات الجماعة فيما بينها.

ويطلق على العموميات مصطلح عالميات إذا ما وجد العنصر الثقافي في الغالبية العظمى من ثقافات العالم.. ومن الأمثلة على ذلك: **تقسيم العمل** بالنسبة للجنس، أي أن هناك عملاً أو أعمالاً معينة للرجال، وأعمالاً أخرى للسيدات، **والزواج** عنصر عالمي آخر، بمعنى أنه من العموميات إذا كان محتواه وشكله واحداً يستخدمه عنصر معين أو فئة معينة بطريقة محددة، ولكن الزواج يطلق عليه ـ العالميات ـ إذا ما طبق محتواه فقط وهذا ما يحدث في كل المجتمعات، فالزواج صفة معروفة وعنصر ثقافي يستخدم في كل ثقافات العالم.

٢ ـ الخصوصيات او التخصصات الثقافية Specialities

مع انه ليس بالضرورة ان يشارك جميع افراد الثقافة الواحدة في التخصصات الثقافية، الا ان الفوائد الناتجة عنها يشترك فيها الجميع، ويحصل كل أفراد المجتمع على فكرة عامة عما تقدمه هذه الفئات وما يستفاد منها.

فالرجل العادي (مثلاً) لا يعرف كيف يصنع سيارة أو حتى راديو ترانزستور ولكن يعرف كيف يعمل كل منها، ويمكن أن يعمم هذا القول على كثير من المهن التي يعرف الناس محتواها، وكيف يتم عملها. ولكنهم لا يعرفون كيف يصنعونها. ومع ذلك فهم ينعمون بفوائدها واستخدامها. ومما تقدم يتضح ان الخصوصيات أو التخصصات هي تلك العناصر الثقافية التي لا يشترك فيها جميع أفراد المجتمع، وانما يشترك فيها أفراد معينون من المجتمع ولكن فائدتها تعم الجميع. وعلى أي حال إن يستفد منها المجتمع فهي لا يمكن ان تضر به أو بمسيرته وأنظمته.

وتقسم الخصوصيات أو التخصصات الى الأقسام التالية:

أ ـ الخصوصيات الطبقية:

وهي السلوكات الثقافية التي تسلكها فئة من المجتمع دون غيرها، ويتضح ذلك في طريقة المعاملات والعلاقات بين أفراد تلك الطبقة، وطريقة لباسهم وتصرفهم حيال المشكلات، وطريقة حياتهم العامة وسلوكاتهم.

ب ـ الخصوصيات المهنية:

وهي العناصر الثقافية، او السلوكات والمهارسات الخاصة بأصحاب مهنة معينة دون غيرهم، فهناك سلوكات ثقافية خاصة بالأطباء مثلاً، وسلوكات أخرى خاصة بالمحامين، والشرطة، والحرفيين... وهكذا.

جـ ـ الخصوصيات العقائدية:

وتتضح هذه الخصوصيات بتقديم الطقوس الدينية بطريقة مختلفة وتخص نفس أصحاب العقيدة الواحدة، اذ ان الشعائر الخاصة بكل فئة تمارس في أوقات معينة وبطريقة محددة، ولو قارنا في مجتمعاتنا العربية، شعائر وطقوس الجماعات المسيحية مع طرق العبادة عند المسلمين لاتضح لنا الخصوصيات العقائدية لكل فئة على حدة.

د ـ الخصوصيات العنصرية:

وتظهر في ممارسة بعض الأقليات الموجودة في المجتمع لاسلوب الحياة التي

يعيشونها. وممارستهم لتقاليد وقيم وعادات خاصة بهم دون غيرهم في المجتمع الواحد الذي يعيشون فيه، ويظهر ذلك في بعض الأحيان بطريقة اللباس، أو طريقة الأكل، واسلوب التحية عند المقابلة... الخ.

كل هذه الخصوصيات التي تميز فئة عن غيرها في المجتمع الواحد، لا تجعل من تلك الفئة عنصراً غريباً وشاذاً عن الجماعة بل يعتاد المجتمع على ممارسات تلك الفئة وفي بعض الحالات يمارس باقي أعضاء المجتمع مثل هذا العنصر الثقافي وينتقل ذلك العنصر من الخصوصيات الى العموميات الثقافية فتمارسه الغالبية العظمى من المجتمع، وتصبح ضمن خارطته الثقافية السلوكية.

٣ ـ البدائل او المتغيرات Alternatives

تشبه البدائل أو المتغيرات، الخصوصيات الى حد كبير، لأن ميزات أحدهما تشترك فيه الأخرى، ويمكن القول بهذا المجال ان البدائل كالتخصصات تشترك فيها فئة معينة وليس كل أفراد المجتمع، وهي بطبيعتها أنماط مختلفة لممارسات معينة في المجتمع يقوم بها افراد معينون. والبدائل في العادة تقدم طرقاً مختلفة في تبادل مواقف معينة، ولكنها على أية حال تصل الى نفس الغاية المرجوة، أي تختلف الطريقة التي يصل بها الأفراد الى الهدف الجماعي.

وقد تصبح البدائل من الخصوصيات اذا ما اعتنقت فئة خاصة ممارستها وقد يتطور أمرها فتصبح من العموميات اذا ما اتبعت ومورست من قبل الجماعة ككل. ويمكن القول انه كلما تعقدت المجتمعات كلما زادت فيها البدائل، وكلما كانت الجماعة أكثر بساطة وبدائية كلما كانت بدائلها أقل...

ويمكن ان نوضح العناصر الثقافية الثلاثة السابقة الذكر في مثل ماديّ واحد وعنصر ثقافي دخل الى المجتمعات العربية كبديل فأصبح من الخصوصيات ثم تطور به الأمر الى ان أصبح من العموميات لدى فئة معينة وهو «ارتداء البنطلون» ففي المجتمعات العربية الخليجية، ارتداء البنطلون للمرأة يعتبر من البدائل، لكن ارتداء البنطلون عند الرجل الخليجي يعتبر من الخصوصيات، فيرتديه الطبيب مثلاً، أو الشرطي، أو الجندي... بينما ارتداء

البنطلون في بلاد الشام (سوريا ولبنان وفلسطين والاردن) يعتبر من العموميات ويرتديه الرجل في هذه المجتمعات كلباس عادي عام...

وبالاضافة الى ما تقدم من تقسيم للعناصر الثقافية، هناك من يتصور من العلماء انها عبارة عن عنصرين (وهما الخصوصيات والعموميات) على ان هؤلاء يضعون البدائل ضمن الخصوصيات وبعض هؤلاء يسمون هذه العناصر تسمية مختلفة، ويقسمون عناصر الثقافة إلى عنصرين.

الأول: **لب الثقافة**: او ما يطلقون عليه اللب الثقافي ويشمل ذلك العموميات والخصوصيات في دائرة واحدة مركزها أكثر العناصر العمومية ممارسة وتسمى بؤرة الثقافة.

الثاني: **اطار الثقافة**: أو الاطار الخارجي للثقافة وهي البدائل، وهذه البدائل التي تقع على الإطار الخارجي للدائرة السابقة قد يقبلها المجتمع وتصبح في لبه، ومن خصوصياته، وقد تتعدى ذلك وتتعمق الى العموميات. كما أسلفنا في المثل السابق «ارتداء البنطلون».

خصائص الثقافة:

مع ان لكل مجتمع ثقافة خاصة به، الا ان هناك خصائص عامة توجد في كل ثقافة من الثقافات،[1] تعتبر من المميزات العامة التي تمتاز بها الثقافة عن غيرها من الأمور والمفاهيم الأخرى:

١ ـ الثقافة عملية إنسانية:

أي انها تخص الانسان دون غيره، ولا تشارك المخلوقات الحية الأخرى الانسان في هذه الخاصية.

٢ ـ الثقافة عملية مكتسبة:

اي ان الانسان يكتسب الثقافة ممن حوله (الآباء والأمهات، والمدرسون،

(١) عاطف وصفي ـ الانتروبولوجيا الثقافية ـ مصر: دار المعارف، ١٩٧٥، ص ٧٦.

والقادة، والموجهون، ووسائل الاعلام... الخ).

٣ _ الثقافة عملية متغيرة:

اي انها تتغير، وتتحرك، وفي غالب الأحيان تتغير الى الأفضل، بمعنى انها تتطور

٤ _ الثقافة عملية تكاملية: (ترضي النفس)

اي انها تشبع الحاجات الانسانية، وتريح النفس البشرية، لأنها تجمع بين المسائل المتصلة بالروح والفكر (عقيدة وسياسة)، والمسائل المتصلة بحاجات الجسد من طعام وشراب، أي ان الثقافة اخترعها الانسان لسد حاجاته كلها.

٥ _ الثقافة عملية استمرارية:

الثقافة ليست فردية بل هي ملك جماعي وتراث ينتقل من جيل الى جيل، ولا يمكن القضاء على ثقافة الاّ بالقضاء على جميع افرادها وهذا أمر مستحيل، فالثقافة اذن لا تموت بموت فرد أو افراد بل تبقى مستمرة.

٦ _ الثقافة عملية قابلة للانتقال:

أي انها تنتقل من جيل الى جيل (من الكبار الى الصغار) في المجتمع الواحد، كما يمكن ان تنتقل من مجتمع لآخر، أو من جماعة الى أخرى، ولذا فهي قابلة مع الانتقال الى الانتشار بين الأمم الأخرى.

٧ _ الثقافة عملية تحدد أسلوب الحياة:

بمعنى انه بامكان الانسان الذي يعرف ثقافة مجموعة أو أفراد معينين التنبؤ بما يمكن أن يتصرفوا به خلال ممارستهم لسلوك معين، لأن الثقافة تحتم على أبنائها اسلوباً معيناً تجاه الممارسات اليومية الحياتية، أي انها ترسم خط حياة الأفراد ليسيروا دونما خروج عن المألوف الذي تقبله الجماعة من اسلوب حياة.

ان الحياة الانسانية الحضارية عبارة عن مجموعة من التراكمات التي مرت بعصور ومراحل طويلة الى ان وصلت الى ما هي عليه الآن. ولهذا يحلو لبعض

العلماء والباحثين في اصول الانسان وثقافته، تقسيم الناس الى مستويات ثقافية، وهنا يختلفون، لأن المستوى الثقافي المقصود هنا هو «الطريقة الحياتية - أو طريقة الحياة التي يعيشها المجتمع، أو تعيشها الجماعة، أو حتى الأفراد، لذا يختلف المستوى الثقافي، عن المستوى التعليمي والذي يظنه البعض خطأً، بانه هو نفسه المستوى الثقافي، لكن المستوى الثقافي كما ذكرنا يقاس بمدى ما يتمتع به الفرد والمجتمع من تحضر ومعرفة وممارسة، ويقاس المستوى الثقافي بمقدرة الفرد على التصرف ضمن نطاق الثقافة، كما يقاس بمدى ممارسة الفرد أو الجماعة لعناصر ثقافتهم وتمسكهم بتراثهم ومعرفتهم له. فهذا رجل يعيش في البادية ولديه مستوى ثقافي جيد، وآخر يعيش في مدينة وليس لديه مستوى ثقافي. لذا نقول ان المستوى الثقافي محكوم بالمعرفة والمهارسة والتصرف.

فالقائد الناجح والمحبوب لا بد أن يكون مثقفاً يعرف ثقافته جيداً وكذلك القيادي في أي عمل أو مؤسسة أو مدينة أو قرية... فالمعرفة بالعادات والتقاليد والأنظمة والخير والشر، والجيد والسيِّئ لجماعة، كلها دليل ثقافة الفرد في مجتمعه.

وهكذا يمكن القول ان المستوى الثقافي يظهر في المعرفة، والخبرة، والضبط الاجتماعي، والتنظيم الاجتماعي، والاتصال والخدمة العامة، وتقديم المعونة، والتضحية، والايثار، والتحمل، ثم اضافة شيء جديد الى الثقافة مما يجعلها أفضل وأكثر استمرارية.

المجتمع

لقد بدأت الحياة على هذه الأرض بأدم وحواء، ثم ابنائهما وبناتهما، وهم أول مجموعة أو اسرة على ظهر البسيطة. وهي أول جماعة من الأفراد كانوا في حالة تفاعل، وتعاون، وتفاهم كي يحاربوا البيئة الطبيعية القاسية من حولهم، وكان لهؤلاء الأفراد هدف معين يسعون اليه، ويتشاركون في تحقيقه، ومن هنا يمكن القول ان الأسرة تعتبر أول خلية على وجه البسيطة، ومن عدة أسر صار هناك عائلة كبيرة. ومن ثم تجمعت العائلات، فأصبحت عشائر، ومن مجموعة العشائر صارت القبائل... ومن كل هؤلاء تكونت الجماعة التي تتميز عن الجماعات الأخرى، وعاشت هذه الجماعة في مكان معين وبطريقة معينة فأصبحت مجتمعاً، وهكذا أنشئت المجتمعات لتعم بني البشر. وتختلف المجتمعات عن بعضها بالسلوك، والثقافة، والأهداف، وحتى بالتكوين العضوي في بعض الحالات.

تعاريف المجتمع :

ان اختلاف تعاريف المجتمع يعود لعدة أسباب منها:

- لاختلاف ثقافة العلماء الذين تناولوا هذا الموضوع.
- لاختلاف المعتقدات التي يدين بها هؤلاء العلماء.
- لاختلاف الأهداف التي يريدها هؤلاء، ومن ورائهم المؤسسات التي يهمها هذا المفهوم.

ونرى على سبيل المثال ان صفات المجتمع اليوناني عند افلاطون وارسطو تركز على اتخاذ المدنية نموذجاً لبناء المجتمع المثالي. أما في العصور الوسطى حيث كانت الكنيسة المسيحية تسيطر على أمور الحياة كاملة، فكان المجتمع في ذلك الوقت ينظر اليه كشيء مخلوق سماوي لا تستطيع أي قوة بشرية ان تحدث فيه

تغييراً، لذا فهو ثابت، لأن الله هو الذي خلقه هكذا كاملاً متكاملاً. وكل ما في هذا المجتمع من محتوى هو خلق سماوي وبالتالي فهو شيء ثابت لا يتغير، ولهذا عرف المجتمع في تلك العصور بانه مجموعة من الأفراد اجتمعوا طبقاً لارادة السماء، وان كانوا متنافرين، اما وجهة نظر فلاسفة المسلمين وعلمائهم في المجتمع، فتتضح في آراء كل من ابي نصر الفارابي ـ وعبد الرحمن بن خلدون، فيرى الفارابي ان الانسان لا يستطيع أن يبقى وأن يبلغ أفضل كمالاته الاّ من خلال مجتمعه، ودعا الفارابي الانسان الذي هو عضو في المجتمع أن يعمل على تحسين نفسه أولاً، وتحسين الآخرين في المدينة ثانياً ضمن اطار نوعين من النشاط: النشاط العقلي، والنشاط العملي. واشترط التوافق والانسجام بين هذين النوعين من النشاط، لضمان سعادة الفرد والمجتمع على السواء. اما ابن خلدون، فيرى ان المجتمع هو المبدع وهو خالق الحضارة والمدنية، والانسان مدني بالطبع أي انه لا يستطيع أن يعيش منعزلاً عن الآخرين، فهو كائن اجتماعي يشعر بالحاجة الى سواه من الناس للتعامل معهم، والاختلاط بهم، واعطائهم والأخذ منهم، ... الخ.

ان كل تعاريف المجتمع تدور حول فكرة واحدة هي ان مكونات هذا المجتمع ـ مجموعة من الأفراد تعيش معاً بتعاون وتضامن في مكان ما. ولذا يمكن أن نعرف المجتمع كما يلي:

مجموعة من الأفراد يعيشون معاً فوق بقعة ما بتعاون وتضامن، ويرتبطون بتراث ثقافي معين، ولديهم الاحساس بالانتماء بعضهم لبعض والولاء لمبادئهم ويكونون مجموعة من المؤسسات تؤدي الخدمات اللازمة لهم وتضمن بالتالي مستقبلاً لحياتهم، وتنظم العلاقات فيما بينهم وبما يرضى الغالبية العظمى منهم(١)

ومن التعريف السابق الذكر يمكن ان نعرف المجتمع تربوياً بانه:

«مجموعة من الأفراد، عاشوا معاً مدة تكفي لان ينتظموا، وأن يعتبروا أنفسهم وحدة اجتماعية متكيفة، وذات حدود واضحة المعالم».

(١) ابراهيم ناصر ـ مرجع سابق، ص ٢١٣

العمليات الاجتماعية

Social Processes

يرتبط الناس بعضهم ببعض عن طريق التفاعل فيما بينهم، وهذا التفاعل يتم بطرق أو عمليات تؤدى وتمارس في المجتمع ويطلق عليها مصطلح العمليات الإجتماعية وهي عبارة عن أنماط سلوكية متكررة يقوم بها الأفراد[1] وظيفتها الحفاظ على النظام الإجتماعي والعمل على نموه واتساع حجمه، واستمراره، وتماسكه. وتختلف العمليات من مجتمع لآخر، كما تختلف في المجتمع الواحد.

وتمارس العمليات الإجتماعية بمستويات ثلاثة، أو صور ثلاث[2] وكما يلي:

المستوى الأول: تفاعل بين الأفراد بعضهم البعض، أي تفاعل فرد مع فرد آخر.

المستوى الثاني: تفاعل بين الأفراد كمجموعة مع أفراد آخرين في نفس الجماعة الأكبر.

المستوى الثالث: تفاعل الجماعة الأكبر كمجتمع مع جماعة أو أكثر في مجتمع آخر.

---

(1) أحمد زكي بدوي - معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية - بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٧٨، So-cial Process.

(2) إبراهيم ناصر، ودلال ملحس إستيتيه - علم الاجتماع التربوي - عمان: المطبعة التعاونية، ١٩٨٤، ١٠٣.

أنواع العمليات الاجتماعية:

تصنف العمليات الاجتماعية الممارسة في المجتمعات من حيث تأثيرها في الأفراد والمجتمعات كما يلي:

العمليات الإجتماعية المجمعة

وهي العمليات التي تجمع الأفراد مع بعضهم البعض، وتكون ممارستها محببة لديهم ولهذا توصف بأنها عمليات اجتماعية مجمعة، كما يطلق عليها البعض العمليات الاجتماعية الإيجابية، أو العمليات الاجتماعية الجاذبة لأنها تجذب الناس بعضهم لبعض، ومن هذه العمليات:

- التعاون، - التكيف - الالتزام - الثقة - التوافق

٢ - العمليات الاجتماعية الهلامية:

ويقصد بها العمليات الاجتماعية التي يحكم عليها من حيث شدّتها وحدتها، وممارستها بطريقة مقبولة إلى حد ما إذا ما مورست بطريقة مناسبة، كانت عمليات مجمعة، وإيجابية، وجاذبة، وإذا ما استغلت لغايات غير حميدة وغير مناسبة كانت عمليات مفرقة وسلبية وطاردة. وتمثل هذه العمليات:

- المنافسة، - التهرب - التبرير - الخضوع - الانسحاب

٣ - العمليات الاجتماعية المفرقة:

وهي العمليات الاجتماعية التي تفرق بين الأفراد والجماعات إذا ما تمت ممارستها في المجتمع، وهي عمليات غير محببة وغير مستحبة، ويطلق عليها العمليات السلبية، أو العمليات الطاردة لأن أفراد الجماعة الواحدة عندما يمارسونها يتنافرون ويبتعدون عن بعضهم البعض مثل هذه العمليات:

- الغيبة - النفاق - التملق - الانتقاد - الصراع

وفيما يلي عرض لبعض هذه العمليات التي تؤثر بالمجتمع ويتأثر بها الأفراد والجماعات على اختلاف أنواعهم وأجناسهم وأعمارهم.

١ - العمليات الاجتماعية المجمعة

أولاً:

التكيف Adaptation

التكيف عملية ديناميكية مستمرة يهدف بها الفرد إلى تغيير سلوكه ليحدث علاقة أكثر توافقاً مع بيئته، أي الملاءمة بين الفرد والظروف المحيطة به، وبناء على ذلك الفهم نستطيع أن نعرف هذه الظاهرة بأنها القدرة على تكوين العلاقات المرضية بين الفرد وبيئته، والبيئة هنا تشمل كل المؤثرات أو الإمكانات والقوى المحيطة بالفرد والتي يمكنها أن تؤثر على جهوده للحصول على الإستقرار النفسي والبدني في معيشته.

والتكيف بالمعنى الإجتماعي هو تغير في سلوك الفرد كي يتفق مع غيره من الأفراد وخاصة باتباع التقاليد والخضوع للالتزامات الاجتماعية. وهذه العملية الإجتماعية (التكيف) تتضمن نشاط الأفراد أو الجماعات وسلوكهم الذي يرمي إلى الملاءمة والانسجام بين الفرد والفرد، أو بين جملة أفراد وبيئتهم، أو بين الجماعات المختلفة، ومن الضروري أن يتكيف الأفراد مع ما يسود مجتمعهم من عادات وأذواق، وآراء واتجاهات حتى تسير الحياة الاجتماعية إلى توافق عام، وهذا ما يقودنا إلى تعريف التوافق الاجتماعي Social adjustement وهو محاولة الفرد عندما يواجه مشكلة معينة، أو يعاني صراعاً نفسياً تغيير عاداته واتجاهاته ليوائم الجماعة التي تعيش في كنفها[1].

وتبدأ عملية التكيف منذ ولادة الفرد، فمنذ الطفولة يبدأ تكيف الوليد مع البيئة الطبيعية المحيطة، أي التكيف مع العالم الخارجي وكل ما يحيط به من أشياء حيوية وطبيعية، كالملبس، والمأكل، والمشرب، والرضاعة لأن الحاجات العضوية يجب أن تشبع عن طريق سلوك توافقي يتناسب مع الظروف المحيطة

(١) أحمد زكي بدوي - مرجع سابق Social Adaptation التكيف الاجتماعي.

به، وحتى عندما تتغير الظروف الخارجية فإن الإنسان يعدل من سلوكه، ويكتشف طرقاً جديدة لإشباع حاجاته عن طريق تشكيلات جديدة من الاستجابات، ومادام الكائن مستمراً في ملاءمته وتعديل استجاباته فإنه يستمر في الحياة نتيجة لتكيفه مع البيئة الطبيعية حوله.

ومع أن المخلوق الإنسان يبدأ عضوياً مئة في المئة[1] ومن ساعة ولادته يبدأ تعلم التكيف مع البيئة الاجتماعية والثقافية حوله، وكما سبق القول يولد الطفل بيولوجياً (يأكل، ويشرب، ويتنفس، ويخرج، ويصرخ..) ولكن تكيفه الاجتماعي يبدأ مع أمه التي ترضعه، فيتكيف مع بيئته الاجتماعية شيئاً فشيئاً، إلى أن يصبح قطعة منها أو عنصراً منسجماً مع عناصرها، فلا يشعر بوطأة نظمها سواء كانت سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية أو خلقية ولا يضيق ذرعاً بأوضاعها بل تترسب هذه النظم والأوضاع في تكوينه وتصبح من أهم مقومات شخصيته ومن أعز ما يحرص عليه، وهنا يبدأ التكيف مع البيئة النفسية أو الشخصية، والتكيف هنا إنفعالي حيث يصبح الفرد متكيفاً من الناحية الوجدانية، وهذا النوع من التكيف يأتي بعد التكيف الاجتماعي. والتكيف الشخصي يتضمن جوانب كثيرة مثل شعور الفرد بالأمان الانفعالي والشعور بالتوافق الشخصي والشعور بالنجاح والشعور بالسعادة. ولكي يتكيف الإنسان من الناحية النفسية يجب على الفرد أن يعرف ذاته وهذه المعرفة تعطي شرطاً أساسياً من شروط التكيف الجيد، وربما كان ذلك هو السبب الذي دفع الفيلسوف اليوناني «سقراط» إلى قول العبارة الهامةالتالية «إعرف نفسك بنفسك». وهي العبارة التي يحاول بها أن يجد الإنسان المتكيف مع نفسه ومجتمعه وبيئته. ومعرفة الفرد لنفسه تكون بمعرفة قدراته وإمكاناته التي بها يستطيع أن يشبع رغباته ويصل إلى أهدافه.

(١) إبراهيم ناصر ـ أسس التربية ـ ط٢، عمان: دار عمار للنشر والتوزيع ١٩٨٩، ص ٢٩٧.

عوامل التكيف:

هناك عدة عوامل أساسية لإحداث التكيف[1] ومن هذه العوامل:

١ ـ إشباع الحاجات الفردية:

والحاجات هنا تعني الحاجات الأولية، والحاجات الإجتماعية، والنفسية، فالحاجات الأولية هي الحاجات العضوية أو الفسيولوجية كالحاجة إلى الطعام والشراب، ويعتبر إشباع هذه الحاجات أمرًا ضرورياً إذ بدونها يتعرض المرء للهلاك.

أما الحاجات الإجتماعية والنفسية فإن إشباعها يعتبر من العوامل الهامة لحدوث عملية التكيف، ومن أهم هذه الحاجات الحاجة إلى الحنو والحاجة إلى النجاح والحاجة إلى الإستقرار وكذلك الحاجة إلى الإنتماء.

وإذا لم تشبع هذه الحاجات عضوية كانت أم إجتماعية ونفسية، فإنها تخلق جنوحاً إلى محاولة إشباع هذه الحاجة بأي وسيلة، وقد تكون هذه الوسيلة غير سوية لا يقرها المجتمع، وهنا ينحرف الفرد أو يجنح.

٢ ـ المرونة:

ويقصد بالمرونة أن يستجيب الفرد للمؤثرات الجديدة إستجابة ملائمة. فالشخص الجامد غير المرن لا يتقبل أي تغير قد يطرأ على حياته، ومن ثم فإن تكيفه يختل، وعلاقته مع الآخرين تضطرب إذا ما انتقل إلى بيئة جديدة مغايرة في أسلوب الحياة، أما الشخص المرن فإنه يستجيب للبيئة الجديدة ويستجيب إستجابات ملائمة ليحقق التكيف بينه وبين البيئة المحيطة.

وتكون المرونة قوية عندما يتكيف الفرد مع البيئة الجديدة دون أن يغير من طبيعته الأصلية، مثال ذلك الشاب الذي يسافر إلى خارج حدود وطنه فيكيف سلوكه بما يتلاءم مع البيئة الجديدة. كما تكون المرونة ضعيفة إذا ما تقبل الفرد قيم البيئة الجديدة تقبلاً يؤدي إلى إنكاره لشخصيته الأصلية، واندماجه في

(١) إبراهيم ناصر ـ ودلال ملحس استيتيه ـ مرجع سابق (١٠٦ ـ ١٠٨)

البيئة الجديدة، وتظهر المرونة الضعيفة عندما يعود ثانية لبلده الأصلي، وهنا لا يتحقق التكيف في الحالتين بل يؤدي سلوكه هذا إلى عدم التكيف.

٣ ـ تقبل الذات:

أي أن يتقبل الإنسان ذاته، أي قبوله لأوجه الضعف أو النقص الموجود فيه، فالميل الزائد للنقد الذاتي علامة من علامات نبذ الذات، فالشخص الذي ينبذ ذاته يصبح عدواً لنفسه، وغير متكيف مع ذاته، فالفرد الذي يمتلك مواهب محدودة ولكنه يقدرها أفضل من الشخص الذي يملك قدرات عديدة ولكنه يبخس هذه القدرات ولا يقدرها.

مراحل التكيف:

إن الملاءمة بين الفرد والأفراد الآخرين، وتكيف الفرد مع أقرانه، ومجتمعه، وبيئته المحيطة وحتى في البيئة الجديدة التي ينتقل إليها لا يتم فجأة أو بدون مقدمات، فالتكيف عملية مكتسبة يكتسبها الفرد تدريجياً، ولا يأتي التكيف التام إلاّ بمراحل كما يلي:

المرحلة الأولى: صراع الفرد مع نفسه، ومع البيئة الجديدة، والمعطيات الجديدة، ففي بادئ الأمر يرفض الفرد العناصر الجديدة الثقافية والإجتماعية، وينكر كل دخيل جديد على حياته، لأن الوافد الجديد أو العنصر المتغير يؤثر في سلوك الفرد ويشعره بالقلق والحيرة فلا يدري كيف يتصرف حياله أو ما هي الطريقة التي يعالج بها المخترع أو الدخيل الوافد إلى عالمه.. ويعتبر الصراع نقطة البداية لأنه يحمل في طياته عملية التحدي للقيم الجديدة.

المرحلة الثانية: وتكون بتقبل الفرد البيئة الجديدة إلى حد ما، أي مرحلة الإنتقال لفحص هذه البيئة الجديدة، أو العنصر الجديد، وهنا ينشأ جدل ونقاش حول المخترع الجديد أو الظاهرة الجديدة ويحاول الفرد التعايش مع التغير الجديد، وتقل مقاومته له، وتبدأ عملية إعادة التنظيم للظاهرة الجديدة ويمكن القول عن هذه المرحلة إنها مرحلة التحويل.

المرحلة الثالثة: وتكون باندماج الفرد في هذه المرحلة مع البيئة المحيطة به، وبما فيها من عناصر إجتماعية وثقافية ومخترعات، وعادات وتقاليد جديدة ويحدث التكيف. ويمارس الفرد حياته الجديدة، ويتبنى الأفكار الجديدة فتستقر حاله، وتبدأ مرحلة التطبيق للسلوك الجديد والإندماج الكلي فيه فيحدث التكيف التام[1].

ويمكن تلخيص الخطوات العملية التي تنبغي أن يتبعها الفرد[2] وعلى الأخص الطفل كي يعد متكيفاً مع نفسه ومع المجتمع المحيط به في النقاط التالية:

١ ـ ضرورة تنمية القدرة على تحمل الفشل والإحباط، وهذه من مسؤولية الأسرة، فإذا حصل الطفل على علامة راسب في الإمتحان، يجب أن يشجع على أن يتخذ هذا الرسوب دافعاً إلى نجاح قادم لا أن يحبط.

٢ ـ يجب أن يكون قادراً على التمييز بين الأهداف المقبولة إجتماعياً وغير المقبولة وأن يختار الأهداف المقبولة ويترك ما عداها.

٣ ـ أن يختار الأهداف التي تشبع حاجاته من بين الأهداف التي تقع في دائرة إمكانياته، وليس معنى ذلك أن الطفل يمتنع عن محاولة تحقيق الأهداف الصعبة، ولكنه يحاول إذا فشل ألاّ يتأثر بذلك بل يجب أن يكون على إستعداد لقبول إمكانياته المحدودة.

٤ ـ يجب أن يختار النشاط الذي يشبع حاجاته والذي ينمي قدراته، فالفرد قد يسعى إلى الحصول على الإعتراف الإجتماعي، وعلى التمتع بالمكانة الإجتماعية عن طريق التفوق في النشاطات الرياضية أو الحركة، وذلك إذا ما عجز عن تحقيق ذلك في النشاط الإجتماعي.

٥ ـ يجب أن لا يترك الفرد للشعور بالذنب إزاء الأحداث الماضية فرصة لإزعاجه، بل يجب أن تكون مشاعر السعادة واحترام الذات والرضى عنها هي السائدة.

---

(١) إبراهيم ناصر ـ أسس التربية ـ مرجع سابق ص (٢٤٩ ـ ٢٥٠).
(٢) محمد شرف ـ سيكولوجية الحياة الروحية في الإسلام والمسيحية.

٦ - يجب أن يكون قادراً على تحمل بعض القلق إزاء سلوكه ومدى توافقه مع المجتمع كما يجب أن يقبل ذاته لأن قبول الذات يعد شرطاً أساسياً للتكيف السليم.

سوء التكيف:

إن سوء التكيف يعني إنعدام أو فشل في الملاءمة بين الفرد والأفراد الآخرين، وبين الفرد والمجتمع من حوله والبيئة الإجتماعية والطبيعية.

وإذا كان التكيف السليم هو إقرار الإتزان بين الفرد وبيئته، وكذلك بين الوظائف النفسية لدى الفرد، فإن سوء التكيف يمكن تفسيره على أساسين:

١ - أساس فسيولوجي:

ويقصد بذلك أن أي خلل في التكوينات الجسمية قد يؤدي إلى خلل في وظائفها، وهذا الخلل يؤثر في سلوك الفرد واستجاباته للمواقف المختلفة، كالطفل الذي يعاني من ضعف في قلبه لا يستطيع أن يشارك الأطفال الآخرين في الألعاب التي تحتاج إلى مجهود جسمي وعضلي.

٢ - أساس نفسي:

ويقصد بذلك أي خلل أو إحباط أو عقد نفسية قد تنشأ عن الصراع الذي يقابله الفرد بينه وبين نفسه أو بينه وبين بيئته أو المؤثرات الخارجية عليه، ويكون الصراع بين الفرد ونفسه، صراعاً داخلياً بين دوافع الفرد نفسه، كالطالب الذي يريد النجاح بدرجات عالية، وفي الوقت نفسه يريد التمتع بوقته في نشاط ترويحي، فيقع في صراع ومشاكل نفسية قد تؤدي به إلى مرض نفسي.

هذا ويظهر التكيف على أشكال مختلفة منها:

أ - العدوان: ويكون العدوان على الذات أو على الغير.

ب - الهروب: ويكون بالهروب من عالم الواقع والإرتماء في عالم الخيال والأوهام.

جـ - التبرير: أي أن ينقل الفرد اللوم في فشل ما على الآخرين.

د - النكوص: أي الرجوع أو العودة إلى المراحل الطفولية التي مر بها الفرد.

هـ - الكبت: ويحدث ذلك نتيجة لعدم إشباع المجتمع لحاجات الفرد.

ولكن من المناسب أن ننبه أن سوء التكيف لا يكون من الفرد فقط فللمجتمع دور في عدم التكيف وكذلك للبيئة المحيطة الطبيعية، والإجتماعية والأصدقاء والمؤسسات الأخرى.

ثانياً:

التعاون Cooperation

التعاون من العمليات الإجتماعية المجمعة والمهمة في استقرار حياة المجتمع، وإرساء العلاقات بين الأفراد إرساءً سليماً، والعمل سوياً بغية تحقيق غايات عامة مشتركة.

ويعرف التعاون بأنه مظهر من مظاهر التفاعل الإجتماعي، ونمط من أنماط السلوك الإنساني، وهو عملية تظهر في التعبير المشترك لشخص أو أكثر في محاولة لتحقيق هدف مشترك[1].

ويختلف التعاون من حيث النطاق، فقد يكون مقصوراً على أفراد جماعة أو مصنع أو بيئة محلية، وقد يتسع نطاقه فيشمل إقليماً أو عدة دول وأقاليم، ويمكن قياس قوة الجماعة وسلامة بنيانها ودقة نظمها وأوضاعها بمقدار تعاون أفرادها وتضامنهم على تحقيق المصالح العامة والخير المشترك، لأن عدم التعاون أبلغ دليل على تشتيت القوة، وتفتيت الجهد وعدم وجود أهداف واضحة مرسومة وعدم تماثل مجهودات الأفراد وتكامل وحدة مجتمعهم. ومن حيث الرغبة في التعاون يمكن أن يقسم إلى قسمين:

أ - **التعاون الإختياري**: وهو أن يختار الفرد الجماعة التي تناسبه،

ب - **التعاون الإجباري**: وهو التعاون الذي يقوم على التعاطف والهدف المشترك مثل التعاون في الأسرة، أو الجماعة الدينية.

(١) أحمد زكي بدوي - مرجع سابق، التعاون Cooperation

والتعاون بين الناس قديم قدم الإنسان، فقديماً كانت القبيلة تمثل التجسيد الفعلي لحاجة الفرد إلى تعاون الجماعة، وأقسى عقوبة كانت تفرضها الجماعة على أحد أفرادها هو إنهاء التعاون معه وطرده من الجماعة، بحيث يصبح هائماً، ومقضياً عليه بالتشرد والضياع والموت.

مجالات التعاون:

المجال الاجتماعي:

يتطلب التعاون من الناحية الإجتماعية أن يكون لدى الفرد حاجة إجتماعية معينة يسعى إلى إشباعها، ومثال ذلك أن يكون التعاون للحصول على مكانة إجتماعية معينة، فالطفل مثلاً، يطيع والديه، أو لا يطيعهما ليثبت مكانته في العائلة وبين إخوته وأقرانه.

- المجال الاقتصادي:

يتطلب التعاون في هذه الناحية أن يكون هناك مصلحة إقتصادية لدى الفئة المتعاونة، ومثال ذلك العلاقات بين الدول المتقدمة صناعياً، ودول النفط النامية، وهي علاقة تعاونية تقوم على المنفعة المتبادلة.

- المجال السياسي:

يتطلب التعاون من الناحية السياسية، أن يكون الفرد أو الجماعة مؤمنة بمبدأ سياسي يكون أساسياً لتعاونها. ومثال ذلك، شخص مؤمن بالديموقراطية، قد يتعاون مع شخص آخر مؤمن بهذا المبدأ. فالتعاون هنا تعاون سياسي.

أنواع التعاون:

لا يستطيع الناس أن يجتمعوا على غير تعاون أو دون أن يشتركوا معاً من أجل السعي وراء المصالح المشتركة، وهناك طرق كثيرة للتعاون في الحياة الاجتماعية يمكن تقسيمها إلى قسمين:

١ - التعاون المباشر:

ويندرج تحت هذا النوع جميع مظاهر النشاط التي يقوم فيها الناس معاً

بأعمال متشابهة أو إذا اشتركوا في عمل شيء واحد، بمعنى أنهم يؤدون وظيفة معينة، وأهم شيء هنا أن الناس يقبلون أن يعملوا معاً ما يمكنهم أن يعملوه أيضاً وهم منفصلون أو في عزلة عن الآخرين، وهم يشتركون في العمل إما لأن عمل المرء وجها لوجه مع غيره يشجعه على حسن أداء العمل وإما لأن في ذلك مزايا اجتماعية أخرى. ويمثل التعاون المباشر أيضاً حينما يؤدي فريق من الناس بالإشتراك معاً عملاً يبدو من الصعب على شخص واحد أن يؤديه بمفرده، كما يحدث في لعبة (شد الحبل) أو حينما يتعاون أكثر من رجل واحد على إزالة بعض المتاريس.

٢ - التعاون غير المباشر:

ويندرج تحت هذا النوع جميع مظاهر النشاط التي يقوم فيها الناس بأعمال غير متشابهة بالتأكيد بغية تحقيق غاية واحدة على أساس أن كلاً منهم يعمل عملاً متخصصاً مخالفاً لما يعمله الآخر، كما هو الحال عندما يتعاون كهربائي وحداد في تصليح سيارة، والتعاون هنا قائم، رغم اختلاف عمل كل من الأفراد المتعاونين.

ضرورة التعاون:

لا يستطيع المرء أن يعيش منعزلاً، ولذا فالتعاون أو المعونة المتبادلة سمة ضرورية للحياة الإنسانية ومن ضروريات التعاون:

١ - أن له دوراً هاماً في عملية البقاء، ويتضح ذلك حتى بين أصغر أنواع الحيوانات كما هو الحال عند النمل، كما يتمثل التعاون بين الحيوانات الأرقى عندما تلجأ الطيور إلى الهجرة على شكل جماعات. فالتعاون ظاهرة توجد عند الحيوانات كما توجد عند الإنسان ولا يمكن للإنسان أن يعيش بدونها، فهو في حياته يتعامل مع المحيطين به مهما كانت مهنته وغناه أو فقره أو علمه.

٢ - يعتبر التعاون ضرورياً وهاماً لنشوء وتكوين الشخصية، وتقدم الأسرة، إذ كلما كبر الطفل شعر بمسؤوليته وبحاجته للتعاون سواء مع إخوانه أو والديه، أو أهله، في سبيل بقائه ومصلحته. وتنمي الأسرة هذه العملية

الاجتماعية بين أفرادها، حيث تدفعهم إلى فعاليات مشتركة ومصالح مشتركة وتنمي الشعور الجمعي، أي تنمي قدرتهم على العمل سوياً.

٣ - في الجماعة يبدو التعاون على أنه عملية تساهم في التكامل بالرغم من وجود الجماعات بثقافتها المتباينة وأهدافها المتصارعة.

٤ - إرضاء حاجات الفرد، مثل التقدير والأمن وحاجته إلى حب الآخرين، واستجاباتهم لما يمكن إرضاء هذه الحاجات عن طريق التعاون، فيتعلم الفرد أسلوب الأخذ والعطاء والعمل في سبيل هدف مشترك مع الآخرين، ويتوقف ذلك على التفاعل السليم بينه وبين الآخرين وتعاون الجميع معاً.

ومن الواضح أن الناس حينما يتبنون مصلحة مشتركة يظهرون ميلاً إلى التعاون لتحقيق هذه المصلحة، انهم يتعاونون لا من قبيل الاعتقاد بأن العمل التعاوني أجلب للخير من العمل الفردي، وإنما إلى جانب ذلك تدعو المصلحة المشتركة الناس إلى إحساس بقيمة الكثرة المتعاونة.

وقد يقوم النشاط الاجتماعي بأسلوب آخر سعياً وراء مصالح الأفراد المتشابهة والمتوافقة، كما يحدث على سبيل المثال في حالة اثنين من رجال الأعمال قد تدفعهم المصلحة المتشابهة في الربح إلى تكوين شركة تصبح ملكاً لهما تصلح أن يتخذا منها مصدراً مشتركاً للتفاخر. إن الميل إلى التعاون لا يتوقف على الرغبة في النجاح الفردي فحسب بل في نجاح المجموع.

وهناك أنواع أخرى من العمليات المجمعة والإيجابية والجاذبة نعرضها باختصار شديد وذلك للتعريف بها وهي:

- التوافق الاجتماعي **Social Adjustement**

وهو إيجاد علاقة تناسق بين فرد أو جماعة وموقف إجتماعي معين، وهو نوع من التكيف الإجتماعي يقتضي من الشخص حين يواجه مشكلة إجتماعية أن يغير عاداته واتجاهاته ليوائم الجماعة التي يعيش في كنفها.

- الالتزام الاجتماعي **Social Obligation**

تعهد يلتزم به الفرد بأن يؤيد أو يشترك في نشاط اجتماعي، وأن يجعل سلوكه يتمثل للمعايير والقيم المقررة في المجتمع. وهو بالمعنى الاجتماعي يعني

سلسلة من القيود والارتباطات التي يفرضها المجتمع حضارياً وثقافياً، وهذه القيود منها ما هو مكتوب كالتشريع والقانون ومنها ما هو غير مكتوب مثل الأعراف، والتقاليد، والعادات التي يمارسها المجتمع.

- الانسجام:

ويعني التماثل والاتساق في التفكير والعمل، وذلك بانصهار الفرد بالعادات والتقاليد والقوانين والنظم داخل المجتمع بحيث يصبح جزءاً من هذا المجتمع فلا يشعر بثقل هذه الأنظمة بل يؤثر ويتأثر بها. وقد يكون الانسجام بين شخصين أو بين جماعتين أو بين فرد وجماعة. في هذه الحالات يتم الانسجام نتيجة لمفاهيم أو صفات مشتركة بين الأفراد أو صفات مكملة.

والشرط الأساسي للانسجام الاجتماعي هو الانسجام الإنفعالي للفرد، فاضطراب الحياة الإنفعالية يؤدي إلى اضطراب الحياة والعلاقات الاجتماعية.

٢ ـ العمليات الاجتماعية الهلامية

أولاً:

المنافسة Competition

المنافسة هي الرغبة في النفيس الجيد في نوعه والانفراد به، وهدفها أن يحقق الفرد أو الأفراد أو الجماعات أو حتى المجتمعات مكاسب خاصة بهم دون غيرهم، وهي باعث نفسي يدفع الشخص إلى العمل ليساوي غيره أو يفوقه في أغلب الحالات.

والتنافس أحد مظاهر التفاعل الاجتماعي، وهو محاولة كل فرد أو جماعة الحصول على نصيب أكبر من الأشياء النادرة أو المحدودة، ولو توفرت هذه الأشياء التي يحتاجها الأفراد أو الجماعات لإشباع حاجاتهم لما كان هناك داع للمنافسة.(١)

وتكون المنافسة جيدة ومفيدة وخيرة إذا كانت لتنمية المهارات والقدرات، وتهيئة الظروف الكافية للتقدم بالعمل، وتحسين الإنتاج، الصناعي، أو الفكري، أو عمل الخير. وبهذه الحالة قد تكون المنافسة مباشرة ويشعر بها كل من الفرد المنافِس، والمنافَس. كما تكون في بعض الحالات غير مباشرة ولا يشعر بها الفرد، كأن لا يدرك الفرد أن الوظيفة التي يشغلها تحرم شخصاً آخر من العمل ولكن في هذه الحالة تكون إلى حد ما غير ضارة، فالمنافسة هنا بطلب العمل أو الحصول عليه يتنافس فيها المتنافسون ومن يظهر بها فهو الأصلح لها.. ولكن المنافسة الهدامة هي المنافسة التي تهدف إلى كسب الموقف من

(١) أحمد زكي بدوي ـ المرجع السابق: المنافسة Competition

الآخرين بحرمانهم أو القضاء عليهم، أو إبعادهم بعُنف وقسوة مما قد يؤدي إلى هلاكهم أو حتى موتهم، وهذا النوع من المنافسة ضار ولهذا وصفت المنافسة بأنها من العمليات الهلامية أي أنها يمكن أن تكون إنشائية بنائية Constructive ويمكن أن تكون هدامة مدمرة destructive. ففي الحالة الأولى تكون عملية تموينية إنتاجية، تحسينية، تدعو إلى التقدم والإزدهار، وفي الحالة الثانية تكون هدامة، قاتلة، معطلة للتقدم والتطور.

مجالات المنافسة:

تختلف المنافسة عن المقاتلة في أن الأولى تستدعي العمل بجد للوصول إلى مرتبة الخصم من غير إلحاق ضرر به، أما الثانية فقد تؤدي إلى الإضرار بالخصم وإهلاكه إذا لم يستطع الدفاع عن نفسه، وتظهر المنافسة والتنافس في المجتمعات الأوروبية أكثر منها في المجتمعات العربية، والمجالات التي تظهر فيها المنافسة هي:

١ ـ المجال الاجتماعي:

ويتطلب التنافس من الناحية الإجتماعية أن يكون لدى الفرد أو الجماعة حاجات اجتماعية معينة يسعى إلى إشباعها، وقد يكون التنافس للحصول على مكانة إجتماعية معينة، فالطفل يطيع والديه أو لا يطيعهما ليثبت مكانته.

٢ ـ المجال الاقتصادي:

وتتطلب المنافسة من الناحية الإقتصادية أن يكون هناك مصلحة إقتصادية لدى الفئة المنافسة للفئات الأخرى، وأمثلة التنافس الاقتصادي غالباً ما تقوم في المجتمعات الرأسمالية الصناعية. فالعلاقة الاقتصادية دائماً تنافسية سواء بين الأفراد أو الجماعات وذلك لتحقيق الربح الحر، والتنافس بينهما غالباً ما يكون نحو الأفضل.

٣ - المجال السياسي:

وتتطلب المنافسة من الناحية السياسية أن يكون الفرد أو الجماعة مؤمنة بمبدأ سياسي أساساً للتنافس مع الأحزاب والفئات الأخرى، فمثلاً نجد أن المنافسة بين الأحزاب في المجتمعات المتقدمة تكون أهدافها ونتائجها دائماً لتحقيق المصلحة العامة.

٤ - المجال النفسي:

وتظهر المنافسة في هذه الناحية في تصرفات الأفراد الشخصية النابعة من داخلهم باعتبار أن المنافسة غريزة من الغرائز كما وصفها (وليم جيمس)، وبهذه الحالة يتنافس الأفراد بدوافع داخلية غريزية وجدت معهم ونمت بنموهم في المجتمع. وفي هذه الحالة تكون المنافسة عامة عند كل بني البشر.

المنافسة والتربية:

الأصل في المنافسة أن تحافظ على مودة من يباريك إذا هزم، لا أن تضره كما يحدث في المقاتلة. وتعتبر المنافسة من أقوى البواعث على التعليم لو أحسن المربي استعمالها، وإذا أساء إستعمالها فإنها تؤدي إلى الفشل والعداء والحقد.

ويعترض البعض على المنافسة بشكل عام بأنها تؤدي إلى الضغينة والبغض بين المتنافسين، وتضعف نفوس من يفشلون دائماً، فيفقدون نشاطهم نتيجة لهزيمتهم وخاصة إذا كانت الهزائم مستمرة، ولهذا ففي التنافس البنائي الإنشائي المثمر ينصح المربون بعدم إستعمال المنافسة بين فرد وآخر وذلك تجنباً للضرر وخاصة في المؤسسات التعليمية، ويستحسن في هذه الحالة التعليمية التربوية أن تكون المنافسة بين:

أ - جماعتين كفريق وفريق آخر، أو مدرسة ومدرسة أخرى، أو فصل وفصل دراسي آخر، ففي هذا النوع من التنافس ما يدفعهم إلى الابداع وفي نفس الوقت يتعلمون التعاون والتكيف مع الجماعة وهذه عمليات اجتماعية جاذبة، ومجمعة..

ب - شخص ونفسه، إذا كان لا بد من أن يتنافس الفرد مع فرد آخر

فلنشجعه أن يتنافس مع نفسه بمعنى أن نوازن بين وقت وآخر بين عمله الحاضر وعمله الماضي، ونحثه بالمرح والتشجيع على أن يكون أحسن في المستقبل، ومثل هذا التنافس مع النفس يحدث في تنمية المواهب الخاصة لدى الفرد، في الرياضة، والفن، والتعليم، والإبداع بشتى أنواعه.

إن المنافسة مفيدة وضرورية وهامة ولا بد منها ولكن إذا أجاد المربي استخدامها في العملية التعليمية التعلمية، ويكمن دور المنافسة الفعال في العملية التربوية في أنها أي المنافسة تجعل أفراد المجتمع في حركة ديناميكية دائمة مستمرة، لا أن تبقى وتشجع على وجود فواصل حادة بين الطبقات، تؤدي إلى جمود المجتمع وثباته بحيث تبقى الأوضاع كما هي دون الاهتمام بالتجريب والمخاطرة والتعديل التي أساسها المنافسة، فيغلق البناء الاجتماعي، ويتغير نمط التنظيم كاملاً ومقدساً، كما أن النظم القائمة تميل إلى أي قديم، وتعزز نفسها بنفسها في حالة غياب عنصر التنافس، وتشجيع الحوافز واستمرارها.

فدور المنافسة التربوي، والحالة هذه تكيف أفراد المجتمع وانسجامهم مع الأوضاع السائدة مع الاستمرار في التطوير والبحث والتجديد والابتكار والتغيير الذي يأتي عن طريق المنافسة، والذي هدفه دائماً الاستمرار والتقدم نحو الأحسن والأفضل. وهذا له انعكاس على جميع مناحي الحياة المختلفة ومن بينها المناهج والمفاهيم والمصطلحات وطرق التدريس وكل ما يتعلق بالعملية التعليمية والتربوية.

كما وتظهر آثار المنافسة في مرونة الإشراف على التعليم العام، كما تظهر في مجال الاهتمام بالعلوم والتكنولوجيا التي كان من نتائجها دائماً اكتشاف الأساليب والوسائل التعليمية المتطورة في مجال التربية كاستخدام التلفاز والأقمار الصناعية والحاسب الإلكتروني في هذا المجال

ولإيجاد التنافس البناء في مجال التربية لا بد من توفير الفرص التعليمية التي هي أساس تنمية القدرات، وتنويعها، وهذا ما تحققه التربية بالمعنى الديموقراطي المفهوم لتكافؤ الفرص، بغض النظر عن الفروق الاجتماعية والاقتصادية..

تفاعل مجالات التنافس:

في حالة فقدان عنصر المنافسة في المجتمع وفي كافة المجالات قد يؤدي ذلك إلى الركود وهذا يؤدي بدوره إلى العجز والاتكالية والتخاذل، وعدم إفساح المجال للنبوغ الفردي وكبت القدرات والميول والابتكار والإكتشاف، وفي هذه الحالة يبقى المجتمع متخلفاً في جميع النواحي، وغير متطور

وهناك فرق بين المجتمعات التي تظهر فيها المنافسة والتي لا تظهر فيها أو تكون بسيطة، فالأولى هي المجتمعات الصناعية التي تطول فيها مدة الطفولة البشرية، بعكس المجتمعات التي لا تظهر فيها المنافسة أو تكون فيها بسيطة فمدة الطفولة البشرية في هذه المجتمعات قصيرة جداً بحيث يتعلم الطفل فيها من السنوات الأولى حرفة معينة، وهذا له تأثير كبير على العملية التربوية.

فإذا وجهت الإمكانات المادية والبشرية المتنافسة توجيهاً سليماً لتحقيق الغايات المرجوة، وتفاعلت العمليات التنافسية الاقتصادية والاجتماعية والنفسية والتربوية فإن عائدها يكون أعظم على المجتمع من المنافسة في مجال واحد، ويمكن القول أن التربية وخاصة للنشء الطالع إذا ما استخدمت المنافسة وأظهرتها في العملية التعليمية فإن تأثيرها يكون كبيراً على المجتمع، والاقتصاد، والتنمية، وارتفاع مستوى المهارة للأفراد وتدريب القوى البشرية كل ذلك يجعل من المجتمع، مجتمعاً متقدماً، وحتى نضمن المنافسة الإيجابية الجيدة لا بد من أن نوجد التربية الصحيحة أولاً، لأن التربية لم تعد الآن مرتبطة ببرامج محددة تنتهي بتخرج الأفراد من مستوى تعليمي معين وإنما هي عملية مستمرة استمرار حياة الإنسان، ومن هنا تظهر أهميتها في إيجاد القوى البشرية المدربة على المنافسة الشريفة الإيجابية التي تؤدي إلى الإنتاج الأفضل.

وللمنافسة دور فعال في تطوير العادات وتغييرها نحو الأحسن والأفضل لتواكب عملية التغير الإجتماعي والحضاري، كما تسهم المنافسة في انتقاء وتصفية العادات والتقاليد الحسنة ونبذ العادات والتقاليد السيئة. ونتيجة للمنافسة بين العادات والتقاليد فإن انتقاء العادات الحسنة التي تناسب طبيعة العصر

والأحداث تلعب دوراً هاماً في التوجيه والسيطرة على سلوك الأفراد. كما أنها تسهل للأفراد أعمالهم وتحدد منطق الترابط والتعامل فيما بينهم.

ويعتبر الصراع Conflict أحد أنماط العمليات الإجتماعية الذي ينشأ عن تعارض المصالح، وهو الموقف التنافسي الذي يعرف فيه كل من المتنافسين غريمه ويدرك أنه لا سبيل إلى التوفيق بين مصالحه وبين مصالح الغريم، فتنقلب المنافسة بينهما إلى صراع حيث يعمل كل منهما على تحطيم الآخر والتفوق عليه، والصراع بشكل عام يقوم على الميل العدواني للإنسان لا على أساس تعاون الجماعات.

ثانياً:

الخضوع Submission

الخضوع عملية اجتماعية هلامية، فهي من ناحية تنهي النزاع بين الأفراد ومن ناحية أخرى تقود إلى الرضوخ وفقدان الاستقلالية وهي أيضاً تعني التواضع وهي صفة محببة كما تحمل في طياتها الانقياد وراء الآخرين وفقدان حرية الاختيار..

وفي واقع الأمر الخضوع عبارة عن ترتيب معين يتنازل فيه أحد الطرفين عن بعض مطالبه واستقلاليته، ويسلم أمره لغيره أو للجماعة ولذا فإن عملية الخضوع تعتمد على انقياد أحد الأطراف إلى الطرف الآخر وتسليم أموره له من أجل المحافظة على البقاء وتحقيق الحاجات الأساسية في الحياة.

وعملية الخضوع تجعل الأطراف المتنازعة، تكف عن الإستمرار في النزاع بموافقة أحد الأطراف بالرضوخ والإنقياد للطرف الآخر، وينطوي الخضوع على قبول أمور صعبة أو غير ملائمة لأن قبول عكسها ربما يكلف الجماعة مشقة

كبرى، ولذلك تفضل قبول الأمر الواقع على علاته مهما كان فيه من مسائل منغصة، ويمكن القول بأن عملية الخضوع فيها شيء من التوافق بين الجماعات وربما التكامل وتقبل الواقع أي أنها تصبح عملية تكيف وفي هذه الحالة تكون مجمعة وإيجابية أما إذا زادت حدتها وشدتها وأصبح فيها الكثير من الاتكالية والاعتماد على الآخرين والذل وفقدان الشخصية فتصبح عكسية النتائج وبهذه الحالة تصبح سلبية طاردة.

ويكون الخضوع جيداً في حالة الإستسلام للقوانين والرضوخ لرأي الجماعة والمصلحة العامة للمجتمع، والإذعان للسلطة الديموقراطية التي يهمها الصالح العام. وفي هذه الحالة يكون الخضوع مستنيراً ويمارسه الفرد عن قناعة تامة لأن فيها خيراً له ولمجتمعه وما دام الخضوع يؤدي دوراً تربوياً واجتماعياً وقيمياً في المجتمع.

أسباب الخضوع:

للخضوع أسباب كثيرة منها:

١ - الشعور بعدم المقدرة والشك بالذات والإحجام عن مواجهة الصعاب والاستعانة بالغير، والتهرب من المسؤولية.
٢ - التربية البيتية التي تستخدم العقاب البدني، وتحاشي مواجهة المسؤول عن تدريب الأطفال على الخضوع.
٣ - تحديد مركز الفرد ودوره في المجتمع مع عدم التغير يجعله ميالاً إلى الخضوع.
٤ - الحصول على المطالب عن طريق الاستجداء أو استدرار العطف من السلطة أو من الأبوين يجعل الفرد يتروّض على الخضوع.
٥ - القبول بالواقع والوضع الراهن، وعدم التمرد عليه بالعجز تجاهه.
٦ - التخوف من العواقب.

أشكال الخضوع:

للخضوع أشكال مختلفة منها:

١ - الخضوع للوالدين:

وتختلف نسبة الخضوع هنا بالنسبة لثقافة الأفراد، وتربيتهم.

٢ - الخضوع للمعلم:

ويتناسب الخضوع هنا مع اختلاف التربية والأهداف التربوية بين بلد وآخر، وأمة وأخرى.

٣ - الخضوع للسلطة:

والسلطة هنا تعني من يعطي الأوامر ويراقب السلوك بدءاً من الأب، وكبير العائلة، والقبيلة، والحكومة المحلية.. والدولة.

٤ - الخضوع الاجتماعي:

ويتمثل ذلك في الخضوع لعادات وتقاليد وقيم وأعراف المجتمع في تلك الجماعة أو البلد،

٥ - الخضوع العقائدي:

ويتمثل ذلك في الخضوع للدين، أو المبادئ الفكرية، أو الفلسفات، أو الشرائع المقدسة.

٦ - الخضوع السياسي:

ويطلق عليه البعض الخضوع الإداري، بمعنى أن يخضع الفرد لمن بيده النظام والحكم سواء كان ذلك على مستوى المؤسسات فالمدير هنا مصدر السلطة، وصاحب العمل هو مصدر السلطة، والنظام السياسي في المجتمع هو صاحب السلطة ومصدرها.

ونسبة الخضوع بشكل عام تختلف بين فرد وآخر، وبين جماعة وأخرى، وبين مجتمع وآخر، وبين مكان وآخر، وزمان وزمان ثان... وهكذا دواليك.

المبادئ العامة للخضوع:

يناضل الأفراد، بنو البشرية عامة من أجل الوصول إلى أهدافهم والحصول على مطالبهم الأساسية فإن كان الخضوع سائراً في هذا المجال بحيث يكسب الأفراد الحقوق وينظم وصولهم إلى الأهداف المنشودة دون الإضرار بشعورهم ومصالحهم، وشخصيتهم يكون الخضوع في هذه الحالة مجمعاً وحيداً، وعلى العكس إن قاد الخضوع إلى الذلة والهوان. لهذا فإن الخضوع يقوم على مبادئ أساسية هامة مثل:

١ - الخضوع للنظام يؤدي إلى الالتزام بالمسؤولية والقيام بالواجب
٢ - الخضوع للقائد يؤدي إلى تنظيم المجتمع والجماعة.
٣ - الخضوع لا يكون مستمراً وفي كل الأمور، فهو متقطع حسب الزمان والمكان والموقف والمناسبة.
٤ - الخضوع لا يكون عاماً وكلياً، بل يتناسب والموضوع كما يتناسب مع المجتمع والموقف العام، ويكون على درجات، فالخضوع لموضوع يختلف عنه الخضوع في موضوع آخر. . وهكذا.
٥ - الخضوع لا بد أن يسير مع ثقافة المجتمع، لأن صور الخضوع تعتبر تكاملية الوظيفة في كل مجتمع على حدة. .
٦ - الخضوع يتأثر بعوامل اجتماعية خاصة، تاريخية واقتصادية، واجتماعية وفلسفية تختلف من مجتمع لآخر.
٧ - الخضوع يضبط المجتمع ويمنع التمرد والخروج على إجماع الجماعة في المجتمع.
٨ - الخضوع من العوامل الاجتماعية المكتسبة التي تنظم السلوك الفردي في المجتمع.
٩ - الخضوع المنتج يعطي فرصة للخاضع ليتفرغ لبحث موضوع الخضوع وقد يؤدي ذلك إلى الإنتاج الأفضل في أمور أخرى.

وهذا قد يؤدي الخضوع إذا ما أسيء استغلاله إلى مساوئ وأضرار تلحق بالفرد والجماعة منها:

أ - قد يضع الخضوع الأفراد في قوالب جامدة لا يستطيعون الخروج منها في كثير من الأحيان، وكل من يخرج عن هذه القوالب قد يعتبر منبوذاً من الجماعة المحيطة.
ب - قد يخلق الخضوع اضطراباً في الشخصية لدى الفرد.
جـ - قد يؤدي الخضوع إلى نشوء الطبقية لدى المجتمعات والأفراد.
د - قد يقوي الخضوع الروح العدوانية لدى الأفراد
هـ - قد يقتل الخضوع روح المشاركة في أمور الجماعة وحل المشكلات.
و - قد يقضي الخضوع على ديموقراطية التفكير وينمي الديكتاتورية في الحكم.

ورغم أن هذه المساوئ قد تحدث في الخضوع إذا ما زادت درجته وارتفعت حدته، وقويت شدته، ولكن هناك علاجاً لهذه المساوئ والحد منها، ويكون ذلك بـ:

١ - التنشئة الاجتماعية والتربية السليمة التي تنمي لدى الفرد حب التعاون، والمشاركة، والديموقراطية.
٢ - المساواة الاجتماعية وتطبيق المساواة والعدالة بين الأفراد وإماتة الطبقية.
٣ - إعطاء الحرية الفردية في إبداء الآراء ومناقشتها بكل جدّية.

الخضوع والأنظمة:

لما كانت التربية هي عملية تكيف الأفراد مع البيئة المحيطة (الإجتماعية والطبيعية)، فإن عملية الخضوع إعتنت بتربية الأفراد وتنشئتهم تنشئة تتلاءم مع النظام المحيط أو النظام القائم في الجماعة، ولهذا اختلفت الأنظمة في نظراتها وعنايتها بموضوع الخضوع حسب مفهومها الخاص:

فالأنظمة الديموقراطية:

اعتنت بتربية أفرادها وروضتهم على الخضوع لإطاعة السلطة الحاكمة إطاعة عمياء.

والأنظمة الأرستقراطية: حرصت على تعليم الطبقة الخاصة دون العامة، وبذلك تبقى الطبقة العامة خاضعة للطبقة الخاصة ومنقادة لها.

والأنظمة الديموقراطية: عنيت بتعليم جميع أفراد الشعب على السواء غير مميزة بين إحدى طبقات الأمة عن غيرها، ولها صفة العمومية، فالكل سواء، وللكل حق إبداء الرأي - حرية فكرية سلوكية - على أن لا يتعدى ذلك النظام العام.

وهناك أنواع أخرى من العمليات الهلامية التي قد تكون مجمعة أو مفرقة ومن هذه العمليات على سبيل التعريف ما يلي:

- **التهرب:**

شرود المرء عن حقيقته، ومجافاته محيطه عجزاً عن التكيف مع المحيط الذي يعيش فيه، وهو تجسيم للشعور بعدم المقدرة والعجز والإحجام عن مواجهة الصعاب والتملص من المسؤولية، وعدم مواجهة الواقع ومجابهته بالقدرة والكفاءة اللازمة.

- **التبرير:**

محاولة تعليل القرارات التي يتخذها الفرد بعد أن يكون قد اتخذها، وإيجاد أسباب مناسبة تبرر إتخاذها. وهي عملية يقصد بها صيانة ماء الوجه، والاحتفاظ بالتقدير الذاتي وتقدير الآخرين ما أمكن. ويحدث التبرير عندما تحبط رغبات الفرد أو لم يستطع الوصول إلى بعض الأهداف التي رسمها لقصور فيه.

الانسحاب:

سلوك يقصد به رجوع الفرد إلى وضع قبل مواجهة الموقف. وهذا السلوك يدل على عدم مقدرة الفرد على التكيف، والتوافق مع الموقف الجديد، ويكون الإنسحاب ليحافظ على تماسك شخصيته أمام الآخرين.

٣ - العمليات الاجتماعية المفرقة:

أولاً:

الغيبة

الغيبة هي أن نذكر من وراء الإنسان عيوبه التي يسترها ويسوؤه ذكرها، كما يقصد بها أيضاً أن نذكر إنساناً بما يكره فيما لو بلغه كلامنا.

والغيبة سلوك اجتماعي مكتسب وهذا السلوك يصنف من العمليات الإجتماعية المفككة في المجتمع، كما توصف بأنها مرض من الأمراض المنتشرة، وآفة من الآفات التي تهدم العلاقات الإجتماعية في المجتمع، ولا تقف الغيبة عند حد الكلام بل قد تشمل الكتابة، وتكون بالإشارة، أو الغمز، أو الهمز، أو الحركة، وجميع تلك الأمور تهدف إلى الذم والإنقاص من قدرة الآخرين، وتكون الغيبة فوق ذلك في الضمير الإنساني وفي اللاشعور لديه، وحتى في فكره وأفكاره وتفكيره، فيغتاب الآخرين ويسيء الظن بهم عن طريق التفكير والحكم عليهم بالسوء (وهذا هو الوسواس).

ولا تكون الغيبة للأحياء فقط، ولا للأفراد دون المجتمعات فهي تشمل جميع الأحياء والأموات الأفراد والجماعات، الذكور والإناث، الأقارب والأغراب.. وهكذا..

وتهدف الغيبة إلى تنقيص هيبة الآخرين والرغبة في ذمهم وهم غائبون، وهي دليل الجبن والخسّة لأنها طعن من الخلف. وهي مظهر سلبي، وعملية مفرقة ومعول من معاول الهدم تسري سمومها في كل خلية من خلايا الإنسان الذي يتعرض لها، ولا عجب أن تذكر الغيبة والتحذير منها في القرآن الكريم وفي قوله تعالى:

﴿ولا يَغْتَبْ بعضُكُم بعضاً، أَيُحِبُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أخيه مَيْتاً، فَكَرِهْتُمُوه﴾[1] صدق الله العظيم.

(١) سورة الحجرات، آية ١٢.

أسباب الغيبة:

هناك عدة أسباب تبعث على الغيبة أو أن أي فرد يمكن أن يغتاب الآخرين للأسباب التالية:

١ ـ شفاء الغيظ الذي يكنه المستغيب نحو المستغاب، وذلك عن طريق ذكر مساوئه وخصوصاً إذا لم يكن لدى المستغيب وازع ديني أو أخلاقي أو ضمير رادع، فكلما ثار غضبه وغيظه تشفى بغيبة المسبب لذلك الغضب وغيظه.

٢ ـ موافقة الأصدقاء ومجاملتهم ومساعدتهم على الكلام في حق الغير، خوفاً من أن ينفر منه مثل هؤلاء الأصدقاء أو يهملون وجوده معهم أو بينهم، فيسير معهم مجاملاً على ضلال فيتعرض معهم لعيوب الغائبين وذكر مساوئهم.

٣ ـ أن يشعر بأن هناك إنساناً ما يكنّ له أحدهم الكراهية فيطلق هو لسانه على الغائب أمام الحاضر الذي يريد أن يتملقه ويريد أن يرضيه فيبدأ باستغابة الغائب وذكر مساوئه أمام من يحب أن يسمع إلى تلك الإستغابة لأنه هو نفسه المستمع يكره الغائب.

٤ ـ إرادة التصنع والمباهاة برفع وتنزيه النفس وتنقيص الغير، بأن يقول أن فلاناً جاهل وهو يقصد بذلك تفضيل نفسه هو على ذلك الفلان الغائب.

٥ ـ السخرية والإستهزاء والهزل، فيذكر الإنسان غيره بما يضحك الناس وهو يبغي من ذلك الاستخفاف بشأن المستغاب.

٦ ـ الحسد والرغبة في زوال النعمة عن الغير، وذلك عندما يستغيب إنسان إنساناً آخر عندما يمدح أحدهم هذا الآخر وذلك لحسد المستغيب وكراهيته للمستغاب ومحبته للطعن فيه وفي سمعته.

مجالات الغيبة:

إن الغيبة تؤدي إلى المشاكل بين الأفراد والنزاع والعداوة والبغضاء وقطع أواصر المحبة والقرابة والصداقة، وبث الأحقاد وكل هذه العمليات تعرقل الحياة الاجتماعية وتعطل العلاقات بين الأفراد والتفاعل المرغوب بين الناس في المجتمع الواحد، وحتى آثارها السيئة تنعكس على الفرد المستغيب نفسه اذ أنها

قد تؤدي إلى إنعزاله عن الجماعة وقد يعزل الفرد نفسه بنفسه لما يلاقي من إحتقار في كل المجتمعات وفي كل المناسبات. لأن طبيعة الغيبة وأصلها القيام على ذكر النقص وما يسيء للأفراد الآخرين ويكون ذلك بذكر النقص في:

ـ الخُلق، والخلقة، والنسب والعرض، والقول، والفعل، والمأكل والملبس، والمسكن، وذم كل ما يخصه من قريب أو بعيد ومثال ذلك:

ـ خلقته: وتشمل الطول، والعرض، والبشرة، والشعر...

ـ الخُلق: ويشمل التكبر، والسيرة السيئة، والبخل، والجبن...

ـ النسب: ويشمل الأصل الخسيس، والنسب السيِّئ،...

ـ العرض: ويشمل الشرف، والطعن والتشبيب بالشرف والأهل والحرمات...

ـ القول والفعل: ويشمل تقاويله الكاذبة، وأفعاله السيئة، وذكر ما لا يجب...

وهكذا يكون ذكر المساوئ في المسكن والملبس والمأكل، وهذه بعض المجالات التي يستغيب بها المستغيب علماً بأن هذه الفئة من الناس تستطيع أن تكتشف أو تلفق أي شئ من أجل أكل لحم الآخرين بالبهتان والإفك.

ورغم الآثار السيئة التي تخلفها الغيبة إلاّ أن هذه العملية الإجتماعية قد يكون لا بد منها في حالات استثنائية، وفي مثل هذه الحالات لا بأس من الغيبة لأن ثمارها في هذه الحالات فقط تعطي نتائج مرضية عند البعض رغم ضررها. ومثال ذلك:

١ ـ الاستعانة بالغيبة لتغيير المنكر ورد الظالم والعاصي إلى الطريق الصواب.

٢ ـ التحذير من الشرير: كأن تحذر شخصاً ذا أخلاق حميدة يتردد على شخص فاسق وهو يجهله، فلك أن تكشف له الحال ولو بالتعريض، وإن لم يستجب فبالتصريح.

٣ ـ التظلم والشكوى وتجوز الغيبة هنا للمظلوم في أن يذكر ظالمه بما يسوؤه مما هو فيه حقاً، ومن حقه أيضاً أن يتظلم إلى الجهة التي يرى فيها العدل.

٤ ـ الاستفتاء: مثل أن يحتكم أحدهم إلى قاض ويقول له لقد ظلمني فلان

وأخذ حقي فكيف طريقي إلى الخلاص واسترداد الحق؟

٥ ـ الاستشارة والنصيحة في الأمور الهامة والحساسة، كأن يسأل سائل عن شخص معين بشأن زواج أو تجارة أو أمانة، ومن الضروري هنا أن يذكر الشخص المستشار للشخص السائل ما يعرفه على قصد النصح لا على قصد الوقيعة إذا علم أنه لا ينزجر إلاّ بالتصريح.

٦ ـ أن ينادي أو يصف شخصاً ما بلقب أو وصف يكرهه أثناء غيابه ولكنه لم يشتهر إلاّ به، وأصبح معروفاً بهذه الصفة التي يكرهها

ورغم ما ذكر من بعض المجالات والمواقف التي يرى بعض المفسرين السماح بالغيبة ولو بقدر إلاّ أنه من الضروري وبشكل أو آخر ومهما أمكن الابتعاد عن الغيبة وحتى لو صفيت النيّة، وألحت الحاجة، وفرضت الضرورة، لأن مثل هذه المجالات يمكن الوصول إليها بالصدق أو التلميح، أو التعميم أو المثال ولا حاجة إلى التصريح والتخصص في مثل هذه المجالات، لأن الغيبة بكافة أنواعها مذمومة وغير محبوبة، وهي من المنكرات وقد نهى الله سبحانه وتعالى عنها، ولا يسمح بها أو حتى سماعها، فدور السامع للغيبة والراضي عنها شريك بها ولذا فإن عليه أن يوقفها، أو يدافع عن المستغاب وأن يقول الحق، ويدافع عنه، ويحارب المنكر.. فالمؤمن إذا رأى منكراً فليغيره بيده إن كان يقدر على ذلك، وإلاّ فبلسانه أي يحض على الخير والابتعاد عن المنكر والغيبة، وإن كان يخشى القائل وبطشه فليكن إستنكاره بقلبه ومع أن ذلك أضعف الإيمان إلاّ أنه خير من التمادي والجلوس والإستحسان في مجالات المجاملات الكاذبة التي تدار فيها أحاديث التملق والغيبة.

علاج الغيبة:

للتربية وظيفة اجتماعية هامة باعتبارها تعلم الأفراد الإنضباط والسلوك السوي في المجتمع، ولها دور في تهذيب سلوكهم وتحديد قواعد معاملاتهم مع بعضهم البعض، كما إن للتربية دوراً هاماً في غرس الإيمان بالله وبالمبادئ السليمة والمثل العليا والأخلاقيات المتعارف عليها والتي يرتضيها المجتمع.

وتلعب المؤسسات التربوية المختلفة دوراً كبيراً في حياة الفرد لأنها تشكل حياته منذ الطفولة المبكرة، وتعده للحياة الإجتماعية المقبلة التي سيتعامل فيها مع أفراد آخرين خارج أسرته، وكل هذه المؤسسات من البيت والأسرة، فالمدرسة فوسائل الإعلام، وأماكن العبادة، كل هذه المؤسسات الإجتماعية التربوية تدعو إلى الصدق والصراحة وقول الحق وتأمر بالإبتعاد عن الغيبة والنميمة، وذكر الناس بما لا يحبون ولا يرغبون فيه،

فالتربية إذن هي القوة التي تحول أي تصور فكري للمستقبل إلى واقع يعيشه المجتمع ودور التربية هو أن تربي الفرد خلقياً، وتحثه على مكارم الأخلاق ومكافحة الغيبة والقضاء على أسبابها، لأن الغيبة تحول دون تكيف الفرد مع بيئته الإجتماعية (متمثلة بالأسرة، والمدرسة، والنادي، وأماكن العبادة، وحتى الأصدقاء)، وذلك عن طريق القدوة الحسنة من جانب المربين، ودعم ذلك بالمحاضرات والندوات، والتمثيليات الهادفة، والخطط والمناهج وترجمتها إلى سلوك ممارس يتعلمه الأفراد، وينشأ عليه المجتمع صغاراً أو كباراً، ذكوراً أو إناثاً وعلى مدى الحياة، ومن الضروري أن تركز التربية في مناهجها على الجوانب السلبية للغيبة حتى يبتعد الأفراد عنها، ويتحقق هدف التربية وهو إيجاد الإنسان الصالح المتكيف والمنسجم مع مجتمعه ومعتقداته ومبادئه.

ثانياً: التملق Flattery

التملق لغة، هو الود واللطف وأصله التليين، والمَلَق: شدة الود واللطف، ويقال رجل مَلِق أي يعطي بلسانه ما ليس في قلبه. والتملق، أو المداهنة، هو عبارة عن مديح ومجاملة مبالغ فيها، وثناء كاذب، يستخدم كوسيلة للفت الإنتباه، واكتساب الرضا، كما يعتبر التملق وسيلة للتسلق الإجتماعي Social Climbing، ويستخدم هذه الوسيلة المرؤوسون تجاه رؤسائهم.. والإنسان المتملق أشبه بالممثل، أو البهلوان الذي يحذق لعب الأدوار، فهو يلاقي كل إنسان بوجه ويحدثه بنغم ويضرب على الوتر الذي يرضيه صوته ويشجيه إيقاعه.

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى المتملقين في القرآن الكريم وفضح ألاعيبهم بقوله تعالى: ﴿**وإذا لَقُوا الذين آمَنُوا قالوا آمَنَّا، وإذا خَلَوْا إلى شياطينِهِم قالوا إنَّا مَعَكُم إنَّما نحنُ مُستهزئون* اللَّهُ يستهزِئُ بِهِم ويَمُدُّهُم في طُغيانِهِمْ يَعْمَهُونَ* أولئك الذين اشتَرَوُا الضَّلَالَة بالهدى فما رَبِحَتْ تجارتُهُم وما كانوا مُهْتَدِينَ**﴾(١) .. وفي الحديث الشريف وصف واضح للمتملق، وفي قوله صلى الله عليه وسلم: «ليس من خلق المؤمن الملق»، والملق كما ذكر هو الزيادة في التودد والدعاء والتضرع فوق ما ينبغي وهذا هو التملق.

إن التملق آفة اجتماعية يعتمدها المتملق سبيلاً إلى غاية عند المتَملَّق له، يلتمس سبل إرضائه للوصول إلى ما قد يكون حقاً له، وإلى ما قد يكون ليس من حقه، وهو في الحالتين يدرك جيداً أن المطالب بالحق يكفي أن يستند على قيم عادلة، لأن التملق هو الرياء بعينه ولذا يعتبر مغايراً للقيم الخلقية، إن كنه التملق يعتمد على أن يظهر المرء غير حقيقته، وإظهار عكس ما يبطن.

فالصراحة، والجرأة، وقول الحق هي العملية الجاذبة والمضادة للتملق، لأن طبيعة التملق سلوكية إنهزامية تخفي الحقيقة ويمكن القول أنها تغلف الحقيقة المرّة بغلاف زائف جوهرياً وقد يتراءى للمشاهد بأنه غلاف لامع براق، ولكن الحقيقة غير ذلك.. ويمكن التقرب إلى أصحاب السلطة وذوي الجاه بقول الحق والصراحة لكن التملق مهما كانت أغلفته فإنه يفضح نفسه ولو بعد حين.

مظاهر التملق:

إن التملق داء ليس له دواء سوى فضح المتملقين وكشف ألاعيبهم، وإحباط مكرهم، وكشف سترهم، وإفشال خططهم، فهذا شخص يلقاك في بشاشة مصطنعة لأنه يريد منك مصلحة ما أو شيئاً ما، وقد ترتسم على شفتيه بسمة (صفراء) فيؤكد له وده وإخلاصه، ويبالغ في وصف شوقه إليك وحنينه لرؤياك (منافق) فيعطيك من طرف لسانه حلاوة، وقد يضمك إلى صدره، ويعانقك.. وبين حناياه قلب ينطوي على الحقد، والبغضاء، حتى إذا ما

(١) سورة البقرة، آيات ١٤ و ١٥ و١٦.

تواريت بعد هذه التحية العطرة واللقاء الحار والقبلات.. راح يرميك بمختلف التهم سراً أو علانية..

إن الاعتياد على التملق واتخاذه سبيلاً إلى تحقيق غاية ما ليس مما يتفق مع المروءة والأخلاق لأنه إخلال في العلاقات الإجتماعية وقد يسبب ذلك الإيذاء والتخلف للحياة الإجتماعية في المجتمع، فإذا كان الغلو في التملق يمكن ملاحظته بسهولة، لأنه كما يقول علماء الإجتماع والتربية وعلم النفس.. له رائحة نفاذة تزكم الأنوف.. فهو كالشواء العفن المحروق يخرج رائحة نتنة.

ويظهر التملق واضحاً تجاه المسؤولين من المسؤولين عنهم كما يتملق الناس عادة أصحاب الجاه، والمال، ويتوددون إليهم بشتى الوسائل، ويتسابقون إلى كسب رضاهم، ويفاخرون بالتعرف عليهم ويقدسون آراءهم، فإذا فقد مثل هؤلاء (أصحاب الجاه) جاههم وثراءهم انفض المنافق من حولهم وانصرف عنهم.. وإذا بالذي كان بالأمس القريب معقد الآمال ومعقل الرجاء، صار مكروهاً منبوذاً لأنه فقد ثروته أو مركزه، أو سلطته، أو حكمه، ففقد بذلك كل المنافقين من حوله..

فهؤلاء الذين لا يعرفون الناس إلاّ في رخائهم وثرائهم وسلطتهم وينفضون عنهم في ضيقهم وعسرهم هم المتملقون، والمتملق لا يحفظ وداً ولا يقدس عهداً.

وهناك نوع آخر من التملق أو مظهر آخر من مظاهر التملق وهو ما نراه في المصالح العامة وأماكن العمل والمؤسسات الرسمية والأهلية، إذ إن التملق يتزلف بعض المرؤوسين إلى رؤساهم للإيقاع بغيرهم، فلا يتورعون عن إختلاق الأكاذيب التي ينسبونها إلى بعض زملائهم ليسيئوا إلى سمعتهم عند رؤسائهم، فيظهرون ويتقدمون على أكتاف زملائهم الأبرياء.. مثل هؤلاء الذين يخادعون الناس ويقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم منافقون متملقون، تسربت سموم التملق إلى دمائهم، وجرت في عروقهم وزينت لهم طريق الخداع والرياء، فأفسدت ضمائرهم. وهكذا استخدم التملق لنوال الحظوة لدى المسؤولين والوصول إلى المآرب الشخصية.

التملق والمجاملة:

قد تكون المجاملة أحياناً عنصراً من عناصر التملق وركناً من أركانه، كما قد يكون تجميل الألفاظ والمعاني عنصراً من عناصره أيضاً. ولا شك أن للمجاملة والمسايرة مساوئ إجتماعية عديدة، لأن العمل الاجتماعي أو السلوك الاجتماعي الذي تسيطر عليه المجاملة لا يمكن أن يؤدي إلى نتيجة فعالة، فمثلاً لا يمكن معالجة مشكلة من المشكلات معالجة فعالة إذا كان التعامل الاجتماعي قائماً على المجاملة، لأنه كثيراً ما يضع عراقيل هائلة في طريق العمل والتنفيذ بحيث يتعذر التعبير عن الخلافات أو حلها عند لقاء الناس وجهاً لوجه. إن الكثير من السلوكات الإجتماعية في المجتمعات تقوم على المجاملات، ولكن المجاملة الكاذبة، المجاملة غير الحقيقية مرفوضة، إذ أن المجاملة من هذاالنوع إنما تؤدي إلى عكس ما يجب أن تعطيه من نتائج، فإذا كانت المجاملة تسعى إلى اكتساب محبة الآخرين دون حق فإن هذا هو التملق بعينه. فإذا ما طغت المجاملة في المجتمع جعلت الناس يتذبذبون في أحكامهم، بل ويتذبذبون في مواقفهم بين الواجب والمصلحة، والحق والهوى، والتعقل والطيش، والإيمان والإلحاد، والرحمن والشيطان.. والمجاملة يمكن ملاحظتها أيضاً وبسهولة ودون هناء، فهي كما ذكرنا عنصر اساسي من عناصر التملق بل هي التملق المغلف بغلاف اجتماعي سيِّئ.

التربية والمجاملة:

إن التربية تعتبر وسيلة هامة من وسائل التكيف مع الحياة، بل هي الحياة بكاملها، لأنها تعمل على إختيار العناصر الصالحة التي تضمن النمو للفرد والمجتمع، وهي تعتبر الموجه الإجتماعي للفرد، وتعمل على تنمية الاتجاهات الإجتماعية لديه.

فإذا كانت التربية تنكر على الإنسان أن يكون متملقاً ومخادعاً له ظاهر رضي، وباطن غير رضي، فإنها في الوقت نفسه تعلم الفرد فن المجاملة، الذي

يسميه البعض «الإتيكيت»، أو التصرف في بعض المواقف تصرفاً مستحباً كي لا يعكر الفرد جو الأفراد الآخرين أو جو المجتمع العام، ولكن تعلم المجاملة المستحبة مشروط بأن لا يكون على حساب الآخرين ولا يضر بالمصالح العامة، كما لا يتعدى حدود الكرامة الإنسانية.

والتربية كذلك ترى أن الطفل الإنسان أمانة في أيدي مربيه مطلوب منهم أن يحفظوها ويرعوها ويهذبوها إلى مجاملة محمودة العواقب ويتعهدوها كما يتعهد الفلاح حقله بالري والتسميد والحرث، ولذا فعلى المربين والمجتمع أن يربوا أبناء الأمة التربية السليمة، وأن يغرسوا في نفوسهم كل ما هو جيد، لأن الأفراد الناجحين إنما ينشأون في مجتمع جيد.

وعلى التربية تقوم مهمة تعريف الأفراد بأصول الحياة والعلاقات الإجتماعية والتفاعل الإجتماعي بطريقة سليمة، وأن يتعلم الأفراد وقف كل متملق عند حدّه، وعدم تحقيق مآربه بأن يُكشف أمره في كل موقع وكل مناسبة.

مما تقدم نرى أن حياة الإنسان في مجملها ليست إلاّ مجموعة من المواقف تصدر عنها سلوكات اجتماعية، وغاية ما تسعى إليه البشرية هو إقامة مجتمع لا يرتكز على أسس واهية (وشك)، وإنما يرتكز على الخصائص الإنسانية التي تتمثل في سلامة العلاقات العامة، والاطمئنان وعدم الاضطراب في الحياة الخاصة.

فالتربية في هذا المجال (العلاقات الاجتماعية في المجتمع) تقوم على الصدق والمودة وهي الأساس الأول في التعامل الاجتماعي السليم، تقدس القيم الإجتماعية الإنسانية وتحافظ على أبناء المجتمع وتنشئهم التنشئة الصالحة.

ومن العمليات الاجتماعية المفرقة والسلبية والطاردة ما يلي:

- النفاق:

سلوك يتعامل به الفرد في مواقف يشعر فيها أنه بحاجة لإشباع رغبة مادية أو معنوية أو للدفاع عن رأي أو إتجاه أو لاستجلاب دعم في رأي أو سلوك أو خوفاً من فرد أو جماعة، كما أنه سلوك يكتم صاحبه خلاف ما يظهر لأنه يريد بسلوكه الجديد (النفاق) خروجاً من مأزق.

- الانتقاد الهدام:

عملية إجتماعية تهدف إلى إظهار عيوب الآخرين، أو الأشياء أو المواضيع، ومع أن النقد يعني إظهار العيوب وإظهار المحاسن، إلاّ أن الإنتقاد كعملية إجتماعية يكون بإصدار أحكام على الآخرين وسلوكهم، وفي أغلب الأحيان تكون الأحكام سلبية، وقد يبدي الناقد هنا عيوب الشيء بقصد التجريح لا الإصلاح الذي يتم بالنقد البناء الذي يزاوله أصحاب العقول الكبيرة والمثقفون الذين يميزون بين الجيد والسيِّئ فيمدحون الأول ويعدلون الثاني ويصنعون الرأي الصحيح.

- الصراع: **Social Conflict**

هو الاتجاه الذي يهدف إلى الفوز على الأفراد أو الجماعات المعارضة أو الإضرار بهم أو بممتلكاتهم أو بثقافتهم أو بأي شيء بهم، وينشأ هذا الإتجاه أوالسلوك عند تعارض المصالح في المواقف التنافسية وحين يدرك الفرد أنه لا سبيل إلى التوافق بين مصالحه ومصالح الغريم، فتنقلب المنافسة بينهما إلى صراع حيث يعمل كل منهما على تحطيم الآخر والتفوق عليه وهكذا يأخذ الصراع شكل الهجوم والدفاع العنيف.

المراجع الرئيسية

١ ــ ابراهيم خليفه ، **مفاهيم في علم الاجتماع** ، القاهرة : المكتب الجامعي الحديث ، ١٩٨٤ .
٢ ــ ابراهيم ناصر ، **التربية وثقافة المجتمع** ، بيروت : مؤسسة الرسالة ودار الفرقان ، ١٩٨٣ .
٣ ــ ابراهيم ناصر ، **الانثروبولوجيا الثقافية** ، ط ٢ ، عمان : المطابع التعاونية ، ١٩٨٥ .
٤ ــ ابراهيم ناصر ، **اسس التربية** ، ط ٢ ، عمان : دار عمان للتوزيع والنشر ، ١٩٨٩ .
٥ ــ ابراهيم ناصر ، ودلال ملحس استيتيه: **علم الاجتماع التربوي** ، عمان : المطابع التعاونية ، ١٩٨٤ .
٦ ــ أتاوى ، أ.ك ، **التربية والمجتمع** ، ترجمة وهبة سمعان وآخرون ، القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٧٨ .
٧ ــ احمد الخشاب ، **الاجتماع التربوي والارشاد الاجتماعي** ، القاهرة : مكتبة القاهرة الحديثة ، ١٩٧١ .
٨ ــ احمد زكي بدوي ، **معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية** ، بيروت : مكتبة لبنان ، ١٩٧٨ .
٩ ــ السيد محمد بدوي ، **مبادىء علم الاجتماع** ، الاسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٦ .
١٠ــ باسا غانا ، **مبادىء في علم النفس الاجتماعي** ، ترجمة بو عبدالله غلام الله ، الجزائر ، ١٩٨٣ .
١١ــ بوتومور ، **الطبقات الاجتماعية الحديثة**، ترجمة محمد الجوهري وآخرون، القاهرة: دار الكتب للتوزيع، ١٩٧٩ .
١٢ــ حامد زهران ، **علم النفس الاجتماعي** ، القاهرة : عالم الكتب ، ١٩٧٧ .
١٣ــ رونية أوبير ، **التربية العامة** ، ترجمة عبدالله عبدالدايم، ط٣، بيروت: مكتبة راس بيروت، ١٩٧٢ .
١٤ــ ساميه جابر ، **القانون والضوابط الاجتماعية** ، الاسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٤ .
١٥ــ سميره كامل محمد ، **التنمية الاجتماعية** ، مفهومات اساسية ، الاسكندرية : الدار العربية للنشر ، ١٩٨٤ .
١٦ــ عبدالباسط محمد حسن ، **علم الاجتماع التربوي** ، القاهرة ، ١٩٨٢ .
١٧ــ عبدالله الرشدان ، **علم الاجتماع التربوي** ، عمان : دار عمار للتوزيع والنشر ، ١٩٨٦ .
١٨ــ علي الحوات ، **اسس علم الاجتماع التربوي** ، طرابلس ، ليبيا : جامعة الفاتح ، ١٩٧٩ .
١٩ــ علي سليمان يحفوفي ، **الضبط الاجتماعي** ، بيروت : منشورات الدار العالمية ، ١٩٨١ .
٢٠ــ فاروق العادلي ، **دراسات في الضبط الاجتماعي** ، القاهرة : دار الكتاب الجامعي ، ١٩٨٥ .
٢١ــ فوزيه دياب ، **القيم والعادات الاجتماعية** ، بيروت : دار النهضة العربية ، ١٩٨٠ .
٢٢ــ محمد الجوهري ، **المدخل الى علم الاجتماع** ، الاسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٨ .
٢٣ــ محمد عاطف غيث ، **مقدمة في علم الاجتماع** ، الاسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٦ .
٢٤ــ محمد لبيب النجيحي ، **الاسس الاجتماعية للتربية** ، القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٧٨ .
٢٥ــ محمد مصطفى الشعبيني ، **علم الاجتماع التربوي** ، القاهرة : دار النهضة العربية ، ١٩٧٨ .
٢٦ــ منير مرسي سرحان ، **في اجتماعيات التربية** ، ط ٢ ، القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٧٨ .
٢٧ــ منيره احمد حلمي ، **التفاعل الاجتماعي** ، القاهرة : المكتب الجامعي الحديث ، ١٩٨٤ .
٢٨ــ نازلي صالح احمد ، **التربية والمجتمع** ، القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٧٨ .